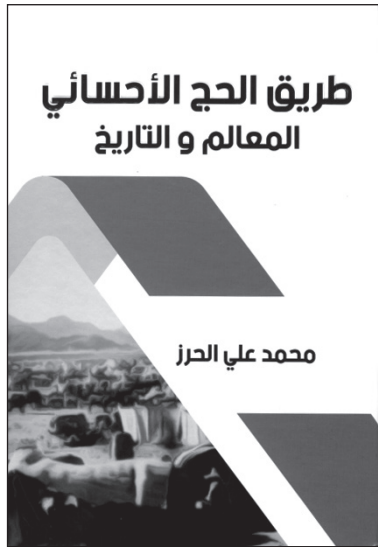


«تعريف بكتاب» طريق الحجّ الأحسائي (٤)

إعداد: إدارة المجلة



نظراً لمنهج مجلة «مقامات الحجّ»، وعنايتها بالشؤون الثقافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية للحجّ ودائرته المباركة... فتحت بابها لا فقط لاستقبال ما يتفضل به



الكتاب، ويبادر به العلماء والمحققون من بحوث ومقالات من أفكار وآراء حول عنايتها المذكورة، وإن لم تكتفِ بانتظار ما تجود به معرفتهم وأناملهم، بل راحت إدارتها تسمع وتقرأ وتلاحق ما يكتب هنا وينشر أو يُلقى هناك؛ ما دام يصبُّ في دائرتها المعرفية؛ لإعطائه مساحة مناسبة في المجلة، حرصاً منها في إغناء مكتبتها الخاصة وتراثها المعرفي، ومشاركةً منها في نشر ما تصبو إليه من أهداف كبيرة؛ تتمدد على مساحة واسعة من الحرمين المباركين مكة المكرمة والمسجد النبوي وما حولهما من طرق وأماكن ومواقع.

إنّ هذا الكتاب «طريق الحج الأحسائي» لمؤلفه سماحة الشيخ محمد علي الحرز كتابٌ جيّدٌ، بما تحمله من أهمية تاريخية، وفوائد ميدانية، ومعرفة هذا الطريق بحدوده ومعالمه التي ينبغي الاطلاع عليها.

ولا يخفى أنّ هذا الطريق في القديم كان طريقاً لحجاج الإيرانيين.

* * *

جاء في مقدمة البحث :

«طالما راودتني فكرة التطرّق لموضوع طريق الحج الأحسائي من الناحية التاريخية؛ والتعريف بالعلاقة الكبيرة بين الأحساء وبلاد الحجاز، وأهمّ الطرق التي يسلكونها في المسير لأداء فريضة الحج، والعقبات التي تواجه الحاج الأحسائي من صعوبات ومعوّقات، حاله حال الكثير من الحجاج في مختلف المنافذ المتجهة إلى مكة المكرمة، نظراً للتغافل الكبير من المهتمّين بتاريخ الحج وطرق الحاج، وذلك لصعوبة البحث وندرة المصادر التي تناولت معالم هذه الطرق.

لذا اكتفى معظم الباحثين بتناول الطرق المشهورة والمعروفة؛ مثل الشامي والعراقي والمصري واليميني والعماني وغيرها، دون تجاوز هذه العتبة خشيةً من وعورة الطريق



والبحث في هذه النقطة المعتمدة...».

الكلمات المفتاحية :

رحلة داود السعدي سنة ١٢٨٨ هـ، طريق الحاج في الشعر الأحسائي، الطريق غير المباشر، الطرق من الأحساء إلى اليمامة، الطرق من اليمامة إلى مكة المكرمة، من محطات الحاج إلى الحرمين، العقير الواجهة البحرية للأحساء...

الطريق الثالث: رحلة داود السعدي سنة ١٢٨٨ هـ

الشيخ داود السعدي كان مفتي بغداد، ومرافق الحملة التي قادها أحمد مدحت باشا كمفتٍ للعسكر^١، تولى منصب الإفتاء في الحامية العثمانية بالأحساء، فذهب إلى الحج ودون المناطق التي مرَّ بها.

رحلته إلى الحج:

وهي رحلة داود السعدي، المعروف بأفندي البكباشي، التي طوى مراحلها في شهر ذي القعدة من سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧٢ م)، وهذه الرسالة طبعت في مطبعة الزوراء أو مطبعة الحكومة سنة ١٢٨٩ هـ^٢ ثم أعيد طبعها في لغة العرب، وقد سافر مع القائد نافذ باشا إلى مكة المكرمة، ثم إلى المدينة المنورة، ومنها إلى الكويت ومن الكويت إلى البصرة.

١ . القريني، د. محمد بن موسى، الإدارة العثمانية في متصرفية الأحساء ١٢٨٨-١٣٣١ هـ /

١٨٧١-١٩١٣ م، دار الملك عبد العزيز: الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٦ هـ: ٩٣.

٢ . مجلة لغة العرب، الجزء الأول من السنة الثالثة عن رجب وشعبان، سنة ١٣٣١ هـ، تموز ١٩١٣،

مطبعة الآداب: بغداد: ١١٧، كما نشر المقال نفسه نقلاً عن مجلة (لغة العرب) في مجلة العرب:

السنة الثامنة والعشرون، جمادى الأولى، وجمادى الآخرة، ١٤١٤ هـ، الجزء ١١، ١٢: ٧٦٢.



خصائص رحلته إلى الحج:

تعدّ أهمّ وثيقة تاريخية عن طريق الحاج الأحسائي إلى الديار المقدسة، لما تميزت به هذه الرحلة من خصائص جعلتها غاية في الأهمية، على سائر من كتب أو أشار إلى طريق الحاج الأحسائي ومنازل الحاج من الأحساء إلى مكة المكرمة. ولعلّ أهمّ هذه الخصائص ما يلي:

* كونها الرسالة الوحيدة والمستقلة التي كتبت بغرض تبين طريق الحاج الأحسائي إلى الديار المقدسة، وقد عنوانها بـ: «الطريق من الأحساء إلى الرياض فمكة المكرمة»، وهو الهدف الذي نشدناه من بحثنا هذا بكلّ صراحة ووضوح، مما يسّر علينا المهمة والغاية، وكفانا الكثير من العناء والتعب.

* إنه ومن خلال رحلته العبادية عبّر بما رآه من مشاهداته لكل منطقة، مع الإشارة إلى بعض الأحداث التي وقعت له أثناء الطريق، والتي هي عقبات يعاني منها كلّ حاجّ يعبر على طريق الحاجّ الأحسائي، مما يعطينا صورة حيّة عن مشاهدات الحاجّ ومعاناته في طريقه إلى مكة المكرمة.

* أشار في رحلته إلى جميع المناطق التي توقّفت عندها الرحلة وسارت عبرها، وهي نفس الجادة التي يسلكها الحُجّاج إلى بيت الله الحرام، من حاج الأحساء في تلك الحقبة، مما يعرفنا بدقة عن معالم الطريق، والمناطق التي يعبر من خلالها الحجاج على طريق الحاج الأحسائي، وهي معلومات غاية في الأهمية.

* تضمّنت الرحلة الكثير من المصطلحات العثمانية والألقاب التي كانت مستخدمة في تلك الفترة، وهذا أيضاً يشكّل جزءاً لافتاً من تاريخ العثمانيين إبان حكمهم ووجودهم في الأحساء، وما أحدثوه تبعاً من مصطلحات حاولت جاهداً توضيح معناها.

* إنّ أبرز مميزات السعدي في رحلته على طريق الحاج الأحسائي أنه دوّن الفترة الزمنية التي يستغرقها الحاج في التنقل من منطقة إلى أخرى، مما يعطينا تصوّراً شبه واقعي عن



الفترة الزمنية التي تستغرقها قوافل الحاجّ الأحسائية للوصول إلى بيت الله الحرام.

وسوف أورد كامل الرحلة مع التعليق والتهميش في موضع الحاجة، ليعيش القارئ أجواء الرحلة مع السعدي، مع ما يستملكه من مشاعر جيّاشة كان يعيشها أثناء الرحلة.

ملاحظات على الرحلة:

من الملاحظ لمن قرأ رحلة السعدي رغم ما فيها من معلومات قيمة سواء في الجانب التاريخي أو على نطاق طريق الحجّ الأحسائي، أنّ الرحلة تخلّلتها الكثير من الأخطاء في المسميات للمناطق التي قام بذكرها أثناء الرحلة.

ولعلّ السبب في ذلك يرجع لصعوبة ألفاظها من جهة ولكونها غير عربية من جهة أخرى، مما تسبّب في وجود تصحيف كثير لأسماء الأماكن والمعالم، بل قد تلاحظ أنّ بعض الأسماء لم نجد لها ذكراً في المعاجم الجغرافية المختصة بتلك المناطق مما يؤكّد وجود لبس في تلك الأسماء.

نصّ الرحلة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾^١.

«هو أنه لما كان طريق الرياض والدرعيّة أسهل طرق السواحل والبحرين مع الأحساء والقطيف ولنجة^٢ وبندر بوشهر^٣ وغالب بلاد ايران الواقعة بتلك الأطراف

١ . سورة القصص: الآية رقم ٨٥.

٢ . لنجة: مدينة على ساحل الخليج [الفارسي] وهي عاصمة مقاطعة لنجة في إيران جزء إداري من محافظة هرمزگان. تمتد تلك المنطقة على السواحل إلى الشرق من بندر عباس، حيث استوطنت هناك قبائل عربية من عصور سحيقة قبل الإسلام. ويكيبيديا.

٣ . مدينة بوشهر: عاصمة محافظة بوشهر في جنوب إيران على الساحل الشرقي للخليج [الفارسي].

تبعد عن مدينة الأهواز مسافة ٤٣٤ كم إلى الجنوب.



والكويت والبصرة إلى الحرمين المحترمين.^١

لكن في هذه المدة يتعنى الحجاج فوق طاقتهم في الطرق البعيدة، بسبب تعسير المسري من هذه الطرق المذكورة، فلما أراد الله الخير لعباده، القاصدين أشرف بلاده، هيا لهم أسباب التيسير في مسلك هذا الطريق، وجعل لهم التوفيق خير رفيق، وذلك بما منَّ به من النصر الأبدي والتأييد السرمدي لحضرة مولانا الوزير الأفخم،^٢ والمشير المفخم،^٣ صاحب الدولة،^٤ وحامي الملة،^٥ أفندينا،^٦ السيد أحمد مدحت

- ١ . في كلامه إشارة مهمة بأن طريق الحجّ الأحسائي كانت تسير عليه قوافل الحج القادمة من البصرة بالعراق ولنجة وبندر بوشهر، وغالب إيران الواقعة بتلك الأطراف والكويت.
- ٢ . هو لقب يطلق على السلاطين الوزراء وكبار رجال الدولة والأولياء الصالحين. بركات، د. مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب: القاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م: ٢٠٩.
- ٣ . كان لقباً من ألقاب الصدور العظام قديماً، ثم استخدم بعد عهد التنظيمات لقباً عسكرياً كما هو مستخدم الآن في العالم العربي، وهو أعلى رتبة عسكرية. صابان، د. سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة: د. محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ١٠٩.
- ٤ . صاحب: من ألقاب الوزراء، وقد بدأ استخدامه منذ عصر بني بويه، ثم استخدمه العثمانيون لوزرائهم، وقد أحقوها بكلمات أخرى مثل: «صاحب السيف والقلم»، و«صاحب الخيرات»، و«صاحب العز والتمكين» وغيرها من الألقاب التي منها: «صاحب الدولة». الألقاب والوظائف العثمانية، مصدر سابق: ٨٦.
- ٥ . أي حامي الدين.
- ٦ . أفندي: كلمة رومية - بيزنطية، انتقلت إلى اللغة التركية منذ عهد السلاجقة، وقد بدأ استعمالها في العقد الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي لدى العثمانيين للدلالة على الإنسان المتعلم والمتقف، حيث حلت محل كلمة جلبي الماثلة لها باللغة التركية، وأصبحت لقباً تخاطب به فئة معينة من العثمانيين هم العلماء، ثم أصبحت اللقب الرسمي للأمرء بعد أواسط القرن التاسع عشر الميلادي. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مصدر سابق: ٣٤.



باشا،^١ جعل التوفيق له غطاءً وفراشاً، بأن فتح على يديه القطعة النجدية،^٢ ومنّ عليه باستجلاب أدعية كافة الملة المحمدية، لدوام السلطنة السنية.^٣

و كنت حينئذٍ متقلداً إفتاء تلك الفرقة المنصورة،^٤ الكاسرة شوكة أولي البغي من العشائر المخذولة المقهورة بمعية قومندانها،^٥ المشيد بأرائه السيدة أساس أركان صاحب السعادة، و الحائز لكل سجية مستجادة، محمد نافذ باشا الفريق،^٦ سلك الله به إلى الخير سواء الطريق، فوق استحسان المشار إليه، أسبغ الله نعمه علينا وعليه، أن أسير حجّاج ذلك الطريق إلى الحرمين المحترمين، وأكون واسطة لجلب أدعيتهم لوقاية

١ . أحمد مدحت باشا: (١٢٣٨-١٣٠١ هـ)، سياسي عثماني وإصلاحى ذو توجه موالى للغرب تولى مناصب عديدة منها الصدارة العظمى (رئاسة الوزراء) و وزير العدل وخدم قبلها والياً لولاية بغداد وولاية دمشق وولاية سالونيك، استولى على الأحساء في جمادى الآخرة سنة ١٢٨٨ هـ، عزل عن ولاية بغداد، آخر حياته اعتقل وحكم عليه بالإعدام فحبس في قلعة الطائف وفيها قتل. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين: بيروت، الطبعة الخامسة عشر: ٢٠٠٢م، ١٩٥: ٧.

٢ . إشارة إلى كونه استولى على الأحساء في جمادى الآخرة سنة ١٢٨٨ هـ.

٣ . أطلق على الدولة التركية عدة مسميات عبر التاريخ منها: الدولة العلية، ثم أطلقوا عليها السلطنة السنية، كما أُطلق عليها بعد اتساع ممتلكاتها في أوروبا وآسيا وإفريقيا الإمبراطورية العثمانية. وعرفت أيضاً باسم الدولة العثمانية.

٤ . إشارة إلى توليه منصب الإفتاء في الحامية العثمانية بالأحساء.

٥ . كومندان: قائد ميدان، وهي كلمة عربية دخلت إلى اللغة الأنكليزية فأصبحت قومندان، ثم عادت إلى اللغة التركية بلفظ قومندان، وبعدها استعملها العرب بمعنى قائد عسكري، أو قائد شرطي.

٦ . محمد نافذ باشا: الفريق محمد نافذ باشا (١٨٧١-١٨٧٢ م)، هو القائد الذي وكله أحمد مدحت باشا للاستيلاء على الأحساء في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٨٨ هـ، كما نصبه متصرفاً لسنجق نجد (الأحساء)، بالإضافة إلى عمله كقائد للقوات العسكرية. الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إقليم الأحساء، مصدر سابق: ١٠٦.



دوام دولة خليفة رسول الثقليين.^١

بعد أن أمر بنشر العلم السلطاني، واللواء الخاقاني،^٢ وضرب خيمته سعود،^٣...^٤،
المأخوذة منه قهراً، والمخرج منها جبراً بواسطة العساكر السلطانية، والجنود الخاقانية،
وجعل الدليل والأمير،^٥ لهذه السائرة، الموقفة لخير الدنيا والآخرة، تحت نظارتي،^٦
فامتثلت ما أمره الفريق،^٧ وعزمت متوكلاً على من شرف البيت العتيق، وأحببت أن

١ . يقصد السلطان العثماني في تركيا، وهي من الألقاب التي استعملها العثمانيون وهي مدار نقاش
في مشروعيتهما، وقد استخدمت ألقاب مشابهة لها في مصدر مثل «الخليفة الأكرم» و«خليفة
رسول رب العالمين» وغيره من المسميات الموحية بالرفعة للسلطان العثماني. الألقاب والوظائف
العثمانية: ٢٨.

٢ . الخاقان: تعني السلطان الأعظم وملك الملوك، وكان لقباً مستعملاً في الصين، والمغول، وقد
دخل على الأتراك، فكان أول من لقب به السلطان محمود غزنوي حاكم إيران (٦٧٠-٧٠٣هـ).
الألقاب والوظائف العثمانية، مصدر سابق: ١٩.

٣ . الأمير سعود بن فيصل بن تركي آل سعود (١٢٤٩-١٢٩١هـ)، استولى على الأحساء سنة
١٢٨٧هـ، وعلى الرياض ١٢٨٨هـ وخلع أخاه عبد الله بن فيصل من الحكم وبويع بالإمامة،
لكن سيطرته على الأحساء لم تدم طويلاً فقد دخلتها القوات التركية سنة ١٢٨٨هـ.

٤ . ذكر كلاماً غير مناسب، حذفناه لعدم مناسبته سير البحث ومنهجه، كما أنه لا يضيف في
الرحلة شيئاً جديداً.

٥ . هنا إشارة مهمة في كونه نصب «أمير الحاج» لهذه القافلة المتجهة إلى الحج، ويعني الأمير المنتخب
أو المشرف المعين على قافلة الحج المتوجهة إلى مكة المكرمة. المعجم الموسوعي للمصطلحات
العثمانية التاريخية، مصدر سابق: ٣٧.

٦ . النظارة: تعني الإدارة والوزارة، واسم الفاعل منه ناظر، وقد بدأ استخدامه في عهد السلطان
محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م) للمؤسسات الحكومية التي تشرف على قطاعات معينة، وهي
تعني بالمفهوم المعاصر الوزارة في أغلب الأحيان. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية
التاريخية: ٢٢٢.

٧ . الْفَرِيقُ الْأَوْلَى (عسك): رُتْبَةُ عَسْكَرِيَّةٍ أَعْلَى مِنْ رُتْبَةِ اللَّوَاءِ أَوْ الْجِنْرَالِ وَدُونَ الْمُسْتَشِيرِ. الْفَرِيقُ
الثاني. معجم المعاني.



أذكر رحلة المسرى،^١ وأحمد من بعبده أسرى، وأبدي غاية التشكر، والدعاء لحضرة أفندينا المشار إليه، أعني والي ولاية بغداد، والكاشف الغمة عن هؤلاء العباد، إذ هو السبب الأقوى، والواسطة العظمى إلى هذا المسير، المقرون بالتيسير فأقول وبالله الاستعانة، ومنه العون والإعانة مدة المسرى تاريخ سنة ١٢٨٨ هـ.

الساعة: ذو القعدة:

٥٠١: تحررنا من الأحساء إلى،^٢ (قلعة صاهود)،^٣ بعزيمة صاحب الرفعة رجب أفندي البيكباشي،^٤ وكان نهار الثلاثاء وهي قلعة مشيدة البناء، وفيها عدد من العساكر المنصورة.

يوم الأربعاء منها إلى (عين نجم)،^٥ وهي العين الحارّة من القدرة الإلهية وأقمنا

١. مسرى: مكان السرى، والسرى هو المضي والذهاب أو السير، يقال أسرت القافلة ليلاً كخرجت، سارت ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ سورة الإسراء: ١.

٢. ورود (إلى) خطأ ولعله ممن نقل من المخطوطة والصحيح (من) لأن قلعة صاهود هي مقر الحامية العثمانية ومنها انطلقتهم.

٣. وهو ما يعرف في الأحساء بقصر صاهود: وقد بني هذا القصر على هضبة مرتفعة في الجهة الغربية خارج مدينة المبرز في الفترة الأولى من حكم بني خالد، أو آخر القرن ١١ هـ. أي قبل أكثر من ثلاثمائة عام. وقد كان الهدف من إنشائه حماية مدينة المبرز ضد الغارات التي يقوم بها البدو على تلك المنطقة. وهو يقع اليوم في حي الحزم بمدينة المبرز، مجلة الواحة، العدد ٦٠ - السنة ١٦ - شتاء ٢٠١٠م، مقال قصور من الأحساء، م. عبد المحسن البقشي: ٣٧.

٤. البيكباشي: لفظ فارسي بمعنى البينباشي مركب من بيكوباش، وهو رئيس الألف، وهي رتبة عسكرية عثمانية استعملت في الجيوش العربية، وما زالت تستخدم في تركيا الآن. دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر: دمشق، ط. ١٤١٠ هـ. ١٩٩٠م: ٤١. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مصدر سابق: ٦٦.

٥. عين النجم هي إحدى عيون الأحساء المشهورة بمياه الكبريت التي تستخدم في العلاج، تقع



بها يوم الخميس، ويوم الجمعة تحت الخيمة المذكورة ليتكامل الحاج، وقافلة الرياض، وظهرت العساكر المنصورة بأمرائها الفخام بمعية حضرة الفريق الأفخم،^١ وأكابر وجوه البلدة، وقرأت دعاء حافلاً في دوام السلطنة السنية، وتأييد وزرائها وأمرائها ووكلائها، وكافة عساكرها المنصورة، وللحجاج، والغزاة، والمسافرين.

٩-٠٨: يوم السبت تحرّكنا من (عين نجم) بمقدار مئة من الحجاج وقافلة نجد ونزلنا (غار الشيوخ)،^٢ خالياً عن [من] المرعى والماء.

١٠-٠٨: يوم الأحد منها إلى (شعاب الفروك)،^٣ مرعى لا سقيا [فيه] خالية من البدوان.

١١-٠٦: يوم الاثنين منها إلى (نكيرات الحاج)،^٤ [وفيها حيوانات] رعيّاً لا سقياً،

غرب مدينة الهفوف وقد وصفها الشاعر بقوله:

يا عين نجم أفاقت ابار الحسا بحرارة وبخار ماء يصعد

يقال: إن أول إعمار لها كان في سنة ١١٥٥ هـ تقريباً، يقول الباحث في الآثار خالد الفريدة: إن الموقع يعدّ أحد العيون الشهيرة المنسوبة إلى نجم بن عبد الله الخالدي أحد شيوخ بني خالد والذي كان أميراً للحج عام ١١١٧ هـ، وتقع في الجهة الشمالية من جبل أبو غنيمة الواقع شمال مدينة الهفوف، وكانت في السابق البوابة الغربية التي يحط فيها المسافرون من البدو والحجاج من الأحساء ودول الخليج [الفارسي] وسورية والهند رحالهم كنقطة التقاء أو توديع أو محطه استراحة. ويكيبيديا الإلكترونية.

١. يقصد رجب أفندي البيكباشي، والذي هو أمير الحاج في هذه الرحلة.

٢. غار الشيوخ: غار يعرف بهذا الاسم يقع في الشمال الغربي من جبل أبو غنيمة على مسافة ٢٥ ميلاً.

٣. (الفروك) صوابه (الفروق) بالقاف، وانظر عنه (قسم المنطقة الشرقية) من (المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية).

٤. والصحيح نقيرات الحاج، وتعرف بـ «النقرة»: يُطلق كثيرون اسم (النقرة) على ما يسمى الآن (وادي المياه)، وهي تلك الأرض المنخفضة الممتدة من الجنوب إلى الشمال، تبدأ جنوباً من (عريبرة) و (حمراء جودة)، وتنتهي شمالاً بالقرب من (النعيرية)، ويعرف حمد الجاسر (النقرة)



وفيهما من البدوان من عشائر المرّة والعجمان.

١٠-١٢: يوم الثلاثاء منها إلى (بدالي)^١، [وفيهما حيوانات] رعيًا لا سقيًا وكذلك منزولة (أي فيها عربان).

٦-١٣: يوم الأربعاء (أبي جفان)^٢، كثيرة الآبار، والمرعى خالية من البدوان.

٧-١٤: يوم الخميس منها إلى (أبي الناس)^٣، على سيل عظيم، وغدير جسيم وأمطرنّا فيها ثلاث ساعات ليلاً.

٣-١٥: يوم الجمعة منه نزلنا بطرف الوادي لكثرة انحدار السيول عليه.

٧-١٦: يوم السبت منه إلى (السلي)^٤، على سيل عظيم، جعل الله كلّ نبت حياً!!

في كتابه (المنطقة الشرقية) بقوله: «نقرة بني خالد: النقرة الأرض المنخفضة عما حولها، وبنو خالد القبيلة التي كانت مسيطرة على بلاد الأحساء وما حولها في القرن الحادي عشر وما بعده وهم على ما اتضح لي خليط من القبائل، وأكثرهم من بقايا عبدالقيس، ...» انتهى، ويسكنها بعض العجمان. انظر: الطريق إلى الرياض، مصدر سابق: ١٧٢.

١. بدالي: لم أعرف هذا وقد وصفه بأنه موضع لا ماء فيه، وقد يكون الاسم محرفاً.

٢. أبو جفان: منهل قديم من مناهل (العرمة) الجنوبية، يرده المسافرون على الإبل بين (الرياض) و(الأحساء)، وهو إلى (الرياض) أقرب وأبار (أبو جفان)، وعدد آباره الظاهرة الآن أربع وعشرون بئراً أشهرها تسمى (القموص) وهي موالية للقصر الذي بناه الملك عبد العزيز بعد دخوله (الأحساء) على الشّفير الشرقي للوادي. ويبعد (أبو جفان) عن (الرياض) مئة كم جهة الشرق. انظر: الطريق إلى الرياض، مصدر سابق: ١٠٣.

٣. أبي الناس: هو شعب ينحدر من سلسلة الجبال الواقعة شرق الرياض المعروفة قديماً باسم (ختنير)، قال صاحب عالية نجد عن (منطقة الخنزير): «جبل أحمر كبير يقع صوب مطلع الشمس، من ماء (الصخرة)، وجنوب جبل الضينية، فهو جنوب من بلدة الخاصرة». المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ٤٧٠.

٤. السلي: ذكره الهمداني (ت ٣٦٠هـ)، في كتابه صفة جزيرة العرب بقوله: «وأما السلي فوادٍ عظيم، وهو الذي ذكره الأعشي كذلك بقوله: عجزاء ترزق بالسلي عيالها»، وكان السعدي يتوافق مع ما كتبه عنه الهمداني في القرن الرابع الهجري، ... صفة جزيرة العرب، مصدر سابق: ٢٤٩.



١٧-٠٥ : يوم الأحد منه إلى (الرياض)،^١

ونزلنا (حوطة عبد الله الفيصل).^٢ فركزنا (البرغ)،^٣ السلطاني ونصبنا الخيمة المذكورة، واجتمع الأهالي لدينا، لأجل السلام إلا الشيخ النجدي عبد اللطيف الوهابي،^٤ وعزمننا،^٥ محمد الفيصل،^٦ على وليمة معظمة، فأبدينا له النصائح الدينية

١ . الرياض: تقوم مدينة الرياض على موقع بلدة قديمة تسمى «حجر اليمامة»، وكانت حاضرة قبيلتي طسم وجديس، حتى هجرت وخُربت على أثر حملة أحد ملوك اليمن... ثم عمرت حجر على أيدي جماعة من بني حنيفة في الجاهلية، فاستعادت ازدهارها، واتخذت سوقاً يعقد في العاشر من شهر محرم إلى نهايته من كل عام... وبقيت حجر قاعدة لليمامة في القرن الثامن الهجري حيث زارها ابن بطوطة. وفي القرن العاشر الهجري، تفرقت حجر إلى قرى صغيرة، وبدأ اسم «حجر» يختفي تدريجياً، حتى أطلق اسم «الرياض» على المنطقة، على هذه القرى المتفرقة،... وانتهى الصراع في ١١٨٧ هـ بانضمام المدينة للدولة السعودية. راجع: معجم اليمامة، عبد الله بن محمد بن خميس، دار اليمامة: الرياض، الطبعة الأولى: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م: ٤٩٠. الوليعي، عبدالله بن ناصر، وآخرون، منطقة الرياض دراسة تاريخية وجغرافية واجتماعية، الناشر إمارة منطقة الرياض: الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، ٣: ٩٥، والصفحات التي تليها.

٢ . حوطة عبدالله الفيصل كانت تقع خارج سور الرياض في الجهة الجنوبية ودخلت في عمران المدينة.

٣ . يقال: «ببرق» وهي كلمة تركية يراد بها العَلم، الراية، لواء. المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، د. محمود عامر، مجلة دراسات تاريخية، العددان (١١٧-١١٨)، كانون الثاني، حزيران لعام ٢٠١٢ م: ٣٧٠.

٤ . يعني به الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٢٥-١٢٩٣ هـ) وهو من أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب آل مشرف التميمي، درس على والده الشيخ عبد الرحمن بن حسن، والشيخ محمد بن محمود بن محمد الجزائري، والشيخ مصطفى الأزهري، من مؤلفاته: تأسيس التقديس في الرد على داود بن جرجيس، مقدمة لشرح نونية ابن القيم، وغيرها. انظر: آل الشيخ، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن عبد الله، مشاهير علماء نجد وغيرهم، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر: الرياض، الطبعة الثانية: ١٣٩٤ هـ: ٩٤.

٥ . دعانا على مأدبة.

٦ . هو الأمير محمد بن فيصل بن تركي بن عبد الله آل سعود (١٢٤٨-١٣١١ هـ)، ولد بالرياض ونشأ



والمواعظ المحمدية، وحرّضناه على إظهار الطاعة والانقياد لحضرة الدولة العلية،^١
وامتثال أوامر الحضرة المشيرية.^٢

وكان حينئذٍ عبد الله الفيصل،^٣ بالخارج عن الرياض بمسافة ثماني ساعات، فسيرت له ساعياً، وحررت له كتاباً فيه من النصائح والترغيب في حسن الخدمات المرضية، لجانب السلطنة السنية، والانقياد للحضرة الفريقية، فأجابني بالسمع والطاعة.

وأما (الرياض) فبلدة فيها نحو ألف بيت، وفيها بساتين كثيرة، وتخمين (الرياض) و(الدرعية)،^٤ و(منفوحة)،^٥ وباقي قرى (العارض)،^٦ لو اجتمعت وارداتها تقرب

بها، حارب مع أخيه الأمير عبد الله بن فيصل ضد أخيه الأمير سعود بن فيصل وأرسله أخوه الأمير عبد الله بن فيصل ضد العجمان عام ١٢٨٧ هـ، وبعد وفاة أبيه الإمام فيصل بن تركي ادان بالبيعة لأخيه الأمير عبد الله بن فيصل واتبعه في حكمه، وتوفي في الرياض عام ١٣١١ هـ.

١ . «الدولة العلية» من أسماء الدولة العثمانية، وهنا يشير لانقياد وتبعية الدولة السعودية لهم، ... ومعناه أن يدفع للدولة العثمانية مقداراً من المال دليلاً على الطاعة، ويتصرف في الداخل بكلّ حرّية، وهذا نوع من الاستقلال الداخلي. انظر: أبوعلية، الدكتور عبد الفتاح حسن، تاريخ الدولة السعودية الثانية ١٢٨٦-١٣٠٩ هـ / ١٨٤٠-١٨٩١ م، دار المريخ: الرياض، الطبعة الرابعة: ١٤١١ هـ-١٩٩١ م: بتصرف: ١٨٧.

٢ . المشير: لقب من ألقاب الصدور العظام قديماً، ثم استخدم بعد عهد التنظيمات لقباً عسكرياً، كما هو مستخدم الآن في العالم العربي، وهو أعلى رتبة عسكرية. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مصدر سابق: ٢٠٨.

٣ . هو الأمير عبد الله بن فيصل بن تركي آل سعود.

٤ . الدرعية: تقع في إقليم عارض اليمامة التاريخي بجنوبي هضبة نجد، تبعد الرياض حوالي ٢٠ كلم، يجدها من الشمال محافظة حريملاء، ومن الجنوب محافظة ضرما، ومدينة الرياض، ومن الشرق مدينة الرياض، ومن الغرب حريملاء ومحافظة ضرما.

٥ . منفوحة: قرية قديمة من قرى وادي حنيفة، كانت ملاصقة للرياض.

٦ . العارض: أحد الأقاليم التاريخية التي كانت تتألف منها منطقة نجد. وقد كان اسم العارض (أو عارض اليمامة) يطلق قديماً على جبل طويق الممتد من حدود إقليم القصيم الجنوبية شمالاً وحتى مشارف وادي الدواسر جنوباً، وكان يسمّى أيضاً «العروض»، وهي [أي اليمامة]... والعروض



من واردات الأحساء والقطيف، وأهلها أكثرهم في غاية الغلاء والمحنة - والعياذ بالله - وأكثر قوتهم (اليرابيع)،^١ والجراد وما أشبههما.

١٨٠٠: وأقمنا بالرياض يوم الاثنين بضيافة المذكور محمد الفيصل.

١٩٠٤: يوم الثلاثاء منها إلى (الدرعية) بلدة عظيمة آثارها وهي خربة كثيرة المياه.

٢٠٠٩: يوم الأربعاء منها إلى (الحيسية)،^٢ قرية (بوادي حنيفة) قليلة البساتين، كثيرة المياه.

٢١٠٨: يوم الخميس أيضاً بوادي حنيفة، ومررنا على بساتين وقرى كثيرة.

٢٢٠١٠: يوم الجمعة منها إلى قريب (ثرمدة)،^٣ بئر أقفر،^٤ موجود المرعى، عديم الماء اسمه (العريج).^٥

بفتح العين، ويقصد بالعارض حالياً الرياض والدرعية وضرما والعينة والجيلة وسدوس والعمارية ومنفوحة والمصانع وعرقه والحائر. الطريق إلى الرياض، مصدر سابق: ١٤٦.

١. يعني الجرابيع وهي ضمن الغذاء لأهل الصحراء، في الجزيرة العربية.

٢. لعله يقصد شعيب الحيسية المتفرع من وادي حنيفة، وهذا الشعيب كبير، ولكن فيه بعض الوعورة، وفيه أشجار طلع كثيرة والمكان قريب من الرياض وجميل وقت الأمطار.

٣. الصواب (الثرمداء): هي بلدة من بلاد الوشم من إقليم اليمامة في جزيرة العرب وهي تابعة لأمانة منطقة الرياض، وتبعد عن الرياض ١٦٠ كم شمالاً، وهي بلدة قديمة تعود إلى العصر الجاهلي، قال في معجم البلدان: «ثرمداء قال الزهيري ماء لبنى سعد في وادي الستارين، وقد وردته يسقى منه بالعقال لقرب قعره، وتقع بناحية اليمامة، وهي خير موضع بالوشم وإليه تنتهي أوديته». المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: ٥٣.

٤. أَلْفَقْرُ: الحَلَاءُ من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كَلَاءً.

٥. والصحيح (العريق): والعَرَيْقُ: تصغير عرق، جبل رمل (نفوذ)، يبدأ طرفه الجنوبي قريباً من طرف (شعر)، ثم يمتد شمالاً غربياً حافياً بغربي جبل عسعس، وغربي شعبا، وينتهي غرب أبان في ضفة الرمة، كما قد يذكر مضافاً فيقال: عريق الدَّسَم. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ٩٤٦.



٢٣-٠٧: يوم السبت نزلنا (ثرمدة) قرية كثيرة المياه والبساتين والأهالي.

٢٤-١٠: يوم الأحد منها إلى (مروثة)،^١ كثيرة الآبار والمرعى خالية غير منزولة.

٢٥-٠٨: يوم الاثنين منها إلى (مكسية)،^٢ خالية عن الماء والمرعى وصادفتنا فيها غارة العتبية يقدمهم عبد العزيز الجامع،^٣ وأرعبوا الحاج فتوسطت بينهم أن سلمهم الحاج مئة وأربعة وأربعين ريالاً، وأعطيتهم بعض المختلفات وكفانا الله تعالى شرمهم. وتعهدت للحاج أنه بحول الله تعالى وبأنفاس الحضرة المشيرية، استرجع لهم المبلغ في مكة المشرفة فكان الأمر كذلك، حيث صادفنا حسين بن جامع شيخ عتبية في منى، وحصل منه بلوغ المنى، وكان معه اختيارية،^٤ العشيرة المذكورة

١ . الصواب (المروت): ويحدد موقعها ابن جنيدل: «وهو يعني (المُرَوْتُ)، وقد تقال بصيغ التأنيث فيقال (المروثة): وهو يطلق على صحراء واسعة تقع في شرق بلدة (القويعية)، وعندما يقال مكان (مرت) لغة هي القفر التي لا نبات فيها، أو قليلة النبات». المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ١١٧٤.

أما صاحب (المجاز بين اليمامة والحجاز) فيقول: المروت: هي ما بين (جيب غراب) و(الملحاح)، و(البُتر) شمالاً، وما بين المناهل (سامودة)، و(البديعة) و(البعاث). وما حاذها من أرض قفوف ومرتفعات وحزون، تكون فاصلاً بين (المروت) وبين (الجلة). المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: ٦٤.

٢ . وهو يعني هنا (مَكِينَةٌ): ماءٌ قديم مر، تقع شرقاً من صفراء المدّمثيات، وعندها روضة مشهورة تسمى روضة (مكينة)، وقد حفرت فيها آبار ارتوازية وزرعت، وهي لقبيلة الروسان من عتبية، تابعة لأمارة الدوادمي، تبعد عن مدينة الدوادمي سبعين كيلاً تقريباً، وهي معروفة بهذا الاسم قديماً. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ١٢٢٧.

ولعل إشارة (السعدي) أنها «خالية عن الماء والمرعى»، قبل حفر الآبار والزرع، أما سكنى قبيلة عتبية التي قامت بمهاجرتهم وسرقتهم فهي لوجود مضاربهم في المنطقة منذ القدم مما يجعلها تحت سيطرتهم ونفوذهم.

٣ . ابن جامع شيخ قبيلة الروسان من عتبية.

٤ . الرجال الأشداء من القبيلة.



فحذرتهم وأنذرتهم من سطوة وكلاء الدولة العلية فسلموا المبلغ المذكور إلى الحجاج المرقومين بعد الدخالة العظمى، وقدموا لي نكالا عوض المختلفات سيفاً مصنوعاً من الفضة.

ثم بعد ذلك علم حضرة سيدنا ومولانا الشريف، الحائز لكل بحر منيف، صاحب الدولة،^١ عبد الله باشا،^٢ - وفقه الله تعالى لما يشاء -، فحبس حسين المذكور وعزّره على فعلهم بحجاج بيت الله الحرام، وأن من دخله كان آمناً، ومن قصده لا يضام، فتشكرنا لحضرتة النسبية، وأثنينا على غيرته المحمدية، وهذه جملة اعترضت هنا وسنعود إلى ما نحن فيه.

٢٦-٠٩: يوم الثلاثاء رحلنا من (مكسية) إلى قرية (الدوادمي)،^٣ فيها بساتين ومياه.

١ . صاحب الدولة: لقب عثمانى يطلق على كبار الشخصيات بمعنى رجل الدولة. الألقاب والوظائف العثمانية، مصدر سابق: ٣١٢.

٢ . هو أمير مكة المكرمة الشريف عبد الله بن محمد بن عون تولى إمارة مكة بين عامي (١٢٧٤-١٢٩٤ هـ) بعد وفاة والده، نال مرتبة الوزارة وعضو مجلس الأحكام العدلية «مجلس والاي أحكام عدلية»، وهو شخصيه علمية عرفت بولعها بالمنظرات العلمية، له اطلاع واسع بالفقه والحديث والأدب، بقي في إمارة مكة أكثر من ١٩ سنة حتى وفاته سنة ١٢٩٤ هـ. خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، السيد أحمد زيني دحلان، المطبعة الخيرية: مصر، الطبعة الأولى: ١٣٠٥ هـ: ٣٢١. أشرف مكة وأمرؤها في العهد العثماني، إسما عيل حقي جارشلي، ترجمه عن التركية: د. خليل على مراد، الدار العربية للموسوعات: بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣ م- ١٤٢٤ هـ: ٢٢٢.

٣ . الدوادمي: وهي اليوم مدينة تقع غرب منطقة الوشم على بعد ٣٣٣ كم من مدينة الرياض غرباً، وهي تسمى أيضاً قديماً (داورد) و (العويصي)، (العيصان)، وهي تقع في سهل من الأرض، يحفها من الشرق صحراء واسعة سهلة، ومن الشمال والغرب والجنوب يحف بها جمش من الأرض، ونتوءات صخرية وهضاب. قال الإصفيهاني: «العيصان، من حجر على مسيرة خمسة أيام أو ستة، وهي قرية كبيرة فيها معدن لبني نمير»، وقال أيضاً: «وهو يرتب لطريق اليمامة إلى مكة». المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ٥٣٩.



٢٧-٠٨: يوم الأربعاء منها إلى (قرية الشعرة)^١ آخر قرى نجد وفيها بساتين ومياه.

٢٨-٠٨: يوم الخميس منها إلى (ظليع الخوار)^٢ كثير المرعى، خال من المياه

والمنزل.

٢٩-٠٩: يوم الجمعة منها إلى (خش النير)^٣ فيه آبار كثيرة ومرعى.

٣٠-١٠: يوم السبت منها إلى (عسيلان)^٤ كثيرة المرعى بلا ماء وفيه رأينا هلال

ذي الحجة الحرام.

الساعة، [شهر] ذو الحجة:

١-١٠: يوم الأحد منها إلى (الحميمة)^٥ خالية من الماء والمرعى والعربان.

١. الصواب (الشعراء): وهنا مراده منطقة (الشعراء): وهي بلدة قديمة ذات زرع ومدن، تقع في

جانب جبل (ثهلان) من الشرق، في الجنوب الغربي لمدينة الدوادمي، على بعد ٣٥ كم، وسكانها من قبيلة عتيبة. المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: ٨٩، ٨٢.

٢. ويعني هنا (الخَوَّار): وهو جبل أسود يعترض شمالاً وجنوباً، يقع غرباً شمالاً من الأسود، وشرقاً من جبل النير، وجنوباً من بلدة البجادية، وهو تابع لإمارة الدوادمي. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ٤٨٣.

٣. ومراده هنا (خشيم النير) أي رأس جبل النير، قال صاحب عالية نجد: «وهو جبل أسود كبير، واسع فيه أودية وشعاب، وفيه مسالك وثنيا، وفيه مياه كثيرة». المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ١٢٧٩.

٤. عَسَيْلان: قرية زراعية صغيرة، تقع في أعلا بلاد الرين، بين عسيلة وبين العليا، وسكانها بعضهم من قحطان، وبعضهم من آل هويمل من بني زين، وعَسَيْلان تبعد من القويعية بـ: (٥٨ كم)، وهي تابعة لإمارة القويعية. المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: ١١٦.

٥. الحميمة: تصغير حمى، وهي بلاد واسعة ذات مراعي جيدة، فيها مياه بادية، وليس فيها جبال، يحف بها من الشمال جبل النير، ومن الجنوب جبل العلم، ومن الشرق نفوذ العويند، ومن الغرب نفوذ رحمة، وهو من الأهمية القديمة، ذكرها ياقوت: بحمى النير، وقال الهمداني: قالوا: حمى ضرية هو حمى كليب، وبين حمى وضرية جبل النير، ويفهم مما قاله الهمداني: أن حمى كليب



١٠-٢: يوم الاثنين منها إلى (البرة)،^١ فيها مرعى وآبار ماء، وعليها من عربان عتيبة، وحمانا الله منهم.

٩-٣: يوم الثلاثاء منها إلى (سكوة)، على سيل عظيم ومرعى جسيم.

١٠-٤: يوم الأربعاء ومنها إلى (الكموم)،^٢ مرعى فقط.

٩-٥: يوم الخميس منها إلى (ركبة)،^٣ رعيماً فقط.

١١-٦: يوم الجمعة أيضاً إلى (ركبة)، رعيماً وسقياً.

٦-٧: يوم السبت منها إلى (وادي العقيق)،^٤ وأحرنا فيه إلى الحج مكررين التلبية

هو الواقع جنوب جبل النير. وهو الذي يسمى في هذا العهد الحُمي مصغر، ومياه الحمى في هذا العهد لقييلة عتيبة، في حدودها الجنوبية ماءً عذب جاهلي قديم، يدعى سُعدة، وهو ماء السعدية، كما أن في حدودها الشمالية ماءً جاهلي قديم يدعى في هذا العهد (الدحاسية) نسبة لقييلة الدهسة من عتيبة الذي يملكونه في هذا العهد، ومكانها بالضبط، غرب الدوادمي، وشرقاً جنوبياً من عفيف، وشمالاً من بلدة الخاصرة تابعة لإمارتها. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ٤٢٠-٤٢٢.

١. البرّة: هضبة صغيرة تبدو للعيان من بعد لوقوعها في متن عبلّة مرتفعة، تقع غرباً من ماء سجا، والواقع غرب بلدة عفيف، جنوب طريق السيارات المسفلت المتجه إلى الحجاز، وبالقرب منه هضبة صغيرة.

٢. يعني (الجُموم): تابعة لمنطقه مكة المكرمة في إقليم تهامة، تقع في الشمال الغربي من مكة المكرمة وتبعد عن مكة مسافة ٢٥ كم، ويحدها من الشرق جبال الضيق وتنتهي بسلسلة جبال سرر، كما يحدها شرقاً قرية أبي عروة والبراقة إلى حدود قرية أبي شعيب غرباً، ويوجد بها آثار تاريخية وزراعية. راجع معجم معالم الحجاز، مصدر سابق ١: ٣٧٨.

٣. ركبة: هي صحراء تلي وادي العقيق شرقاً، وهي واسعة حيث تبتدئ بلاد نجد، وقيل أن ركبة على الطريق بين مكة والطائف. معجم معالم الحجاز، مصدر سابق ٤: ٧٠٥.

٤. وادي العقيق: من أشهر أودية المدينة المنورة، وهو وادي يقع بين الفرع والمدينة، يبعد عن المدينة حدود (١٠٠ كم) تقريباً، حيث يأتي طريق مكة من تلك الناحية، قال ابن خميس عن وادي العقيق: «يستطيل جنوبي الحرة وادي العقيق مما يلي المناقب - الريعان - ووادي قرآن، وشعاب



والتهليل والتكبير والتحميد.

٠٤-٠٠: في اليوم المذكور منها إلى (عرفات)،^١ نهاراً وليلاً، حتى وصلنا الساعة: ٩ من الليل فأقمنا بعرفة يوم الأحد ويوم الاثنين، وكان وقوفنا يوم الاثنين - والحمد لله تعالى - ونفرنا منها إلى (مزدلفة)،^٢ وجمعنا بها الحصيات.

الحرّة الجنوبيّة، وأمّ الخروع، وغيرها، ويذهب مشرقاً للحرّة، وفيه الطلوح العظيمة والسيال والسدر والعشر، فيمر ببلدة عشيرة، ويمنهل المحدثّة، ومنهل تنضبه ويفترع الحرّة بعدئذ مشملاً فمغرباً، يقول ابن بليهد عن هذا العقيق: «في بطن ذلك الوادي إذا تجّه شمالاً عيون وآبار كثيرة عذبة، وهي بالقرب من المدينة، وسيل ذلك الوادي يصب في وادي الحمضي، ويصبّان معاً في البحر، هذا الذي بلغني عن الثقات». جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٢٣٥، ٢٣٨، المجاز بين البيامة والحجاز، مصدر سابق: ٢٣٧.

١. عرفات أو عرفة: هو جبل في المملكة العربية السعودية يقع على الطريق بين مكة والطائف، حيث يبعد عن مكة حوالي ٢٢ كم وعلى بعد ١٠ كم من منى و٦ كم من مزدلفة. تُقام عنده أهم مناسك الحج، والتي تسمى بوقفة عرفة وذلك في يوم التاسع من شهر ذي الحجة. وتعد الوقفة بعرفة أهم مناسك الحج كما قال النبي ﷺ: «الحُجُّ عَرَفَةٌ». معجم معالم الحجاز، مصدر سابق: ٦: ١١٣٣.

٢. مزدلفة: ثالث المشاعر المقدسة التي يمر بها الحجاج في رحلة إيمانية يؤدون فيها مناسك الحج حيث تقع بين مشعري منى وعرفات ويبيت الحجاج بها بعد نفرتهم من عرفات، ويعود سبب تسميتها مزدلفة وفقاً للعلماء والمؤرخين نظراً لنزول الناس بها في زلف الليل، وقيل أيضاً لأنّ الناس يزدلفون فيها إلى الحرم، كما قيل إنّ السبب أنّ الناس يندفعون منها زلفة واحدة أي جميعاً فيما سماها الله المشعر الحرام وذكرها في قوله: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾. يحدها من الغرب ما يلي منى ضفة وادي مُحَسَّر الشرقية (وهو واد صغير يمر بين منى ومزدلفة، وهو ما يمر فيه الحاج على الطريق بين منى ومزدلفة) فيكون الوادي فاصلاً بينها وبين منى ويحدها من الشرق ما يلي عرفات مفيض المأزمين وهما جبلان بينهما طريق تؤدي إلى عرفات فيما يحدها من الشمال الجبل وهو ثبير النصح، ويقال له أيضاً جبل مزدلفة، ومن مزدلفة عادة يجمع الحجاج الحصيات من جبالها المحيطة بها، لرميها على الجمرات في منى. معجم معالم الحجاز، مصدر سابق: ٨: ١٥٨٠.



١٠: ويوم الثلاثاء رجعنا إلى (منى)،^١ ودخلنا (مكة المشرفة)، فطفنا طواف الإفاضة، ورجعنا إلى (منى)، وأقمنا بها يوم الأربعاء، ويوم الخميس دخلنا مكة المكرمة، ويوم الجمعة نحن بضيافة حضرة سيد الشرفاء المنسوب إلى سلالة المصطفى مولانا أفخم، وعمادنا الأقوم. صاحب الدولة الشريفة عبد الله باشا. أدام الله وجوده وأعلى سعوده.

وأقمنا بمكة شرفها الله تعالى خمسة عشر يوماً كل ليلة منها نحظى بمنادمة لحضرته السنية، ونتجاذب أبحاث العلم والآداب، مشاهدين منه الالتفات، ومزيد التوجهات، وعند المواعدة أحسن علينا بكر كوفراجة،^٢ فاخرين، وأمر لي بحصان من جياذ الخليل فاستعفيت عنه، - عفا الله عني وعنه -، وأخذت الكركو الفراجة، متبركاً بهما.

وآخر يوم الإقامة؛ وهو يوم الجمعة كنتُ بضيافة صاحب السعادة والي جدة الأفخم قاسم باشا،^٣ يسّر الله له من الخير ما يشاء.

٢٨٠٦: يوم السبت تحرّكنا من مكة المشرفة موذعين البيت الحرام قاصدين

١. منى: أحد مشاعر الحج، وأقربها إلى مكة، وهي وادي تحيط به الجبال، تقع في شرق مكة، على الطريق بين مكة وجبل عرفة، وتبعد عن المسجد الحرام نحو ٦ كم تقريباً. ويحدها من الشمال الغربي جمرة العقبة، ومن الجنوب الشرقي وادي محسر، ومن الشمال جبل القويس، ومن الجنوب جبل مشير. ينزله الحاج يوم النحر وهو العاشر من ذي الحجة، ويقام إلى اليوم الثاني عشر أو الثالث عشر، وبه الجمرات الثلاث التي يرميها الحاج، ومسجد الخيف، ومسجد الكوثر، ومسجد الرسائل، ومسجد الكبش. معجم معالم الحجاز، مصدر سابق ٨: ١٦٧٠.

٢. لعلها نوع من أنواع الملابس المستخدمة في ذلك الوقت.

٣. قاسم باشا الفريق: (١٢٨٨-١٢٨٩ هـ)، وكان أولاً محافظاً على المدينة، ثم صار محافظاً لجدة، قائماً مقام خورشيد باشا في جدة، ثم وجهت له الولاية بعد عزل خورشيد باشا مع بقائه فريقاً، ولم يعط رتبة الوزارة، وجعل إقامته بجدة، إلى أن تم عزله في شوال سنة ١٢٨٩ هـ. دحلان، أحمد بن زيني، تاريخ أشراف الحجاز، تحقيق: د. محمد أمين توفيق، دار الساقية: بيروت، ط. ١، ١٩٩٣ م: ٥٧.



زيارة نبينا عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام، فنزلنا (وادي فاطمة)^١ مع الحاج الشامي، وكانت ليلة السَّرَّاق، فسرَقوا خرجي بما كان محتويًا عليه من ملبوساتي وخراجي .

٢٩٠٨: يوم الأحد (خليص)^٢، [فيها] سقيًا ورعيًا.

الساعة: [شهر] المحرم:

١٠٦-١. يوم الاثنين منها إلى بئر (التفلة)^٣، [فيها] سقيًا ورعيًا.

١ . وادي فاطمة وإد كبير من أودية تهامة غرب المملكة العربية السعودية حالياً . يجري الوادي من الشرق إلى الغرب، بادئاً من أعالي السراة قرب الطائف لينتهي عند بلدة بحرة بين جدة ومكة، وهو واد خصب وفير الماء، وبه العديد من القرى أهمها الجموم، وقد جاءت التسمية بـ: (وادي فاطمة) في القرن العاشر، وكان يعرف سابقاً منذ العصر الجاهلي بـ: (وادي مر الظهران)، أما الجموم فهي إحدى محافظات منطقة مكة المكرمة في إقليم تهامة، تقع في الشمال الغربي من مكة المكرمة وتبعد عن مكة مسافة ٢٥ كم .

٢ . خُلَيْص: وهي محافظة من محافظات منطقة مكة المكرمة، تقع المحافظة في إقليم تهامة على بعد ١٠٠ كم، عن مكة المكرمة بطريق الهجرة، في اتجاه الشمال الشرقي، وهي تشتهر بأديتها الكبيرة مثل وادي خليص، ووادي غران، ووادي ستارة، ووادي قديد. معجم معالم الحجاز، ٢: ٥٦٦ .

٣ . بئر التفلة: يقع في محافظة عسفان التي تبعد ٥٠ كم عن جدة، وتقع في الوسط ما بين منطقة الجموم المؤدية إلى مكة المكرمة، والطريق المؤدي إلى المدينة المنورة، وأن المسافة التي كان يقطعها الحجاج القادمون إلى عسفان من مكة المكرمة تقدر بـ: ١٨ ساعة بواسطة الجمال، والتي كانت أيضاً طريقاً يمتد بالحجاج إلى المدينة المنورة بعد أدائهم مناسك الحج . يقول البلادي في معجم معالم الحجاز: «بئر عسفان محكمة الطي واسعة الفوهة يضرب المثل بعذوبة مائها، وقد يهدى في مكة وجدة، يقال: إن الرسول ﷺ ورد عسفان فنضبت آباره فأشرف على هذه البئر فتفل فيها . وماؤها غزير لا ينزح أبداً . ومن غريب ما شاهدت أن الشركة التي قامت بشق الطريق هناك أرادت أن تقيم آلة ضخ على (التفلة) فلم تشتغل الآلة، فغيروها إلى بئر يقال لها أم الدرج من صنع الأتراك فاشتغلت» .



٢٠٠٧: يوم الثلاثاء منها إلى (كزيمة)،^١ ولحق الحاج (داء أبو الركب)،^٢ فمات منهم نحو عشرين نفراً، ومنهم عبدلي حبشي أخنس، وحمدت الله على السلامة.

٣٠٠٦: يوم الأربعاء ومنها إلى قرب (رابغ)،^٣ رعيماً فقط، واعتري الحاج علة القوليرا (الهيضة)،^٤ ومات سبعة أنفار.

٤٠٠٦: يوم الخميس منها إلى (رابغ) بلدة معمورة من أساكن البحر، ومات [فيها] عشرة نفر، وعبدلي آخر حبشي.

١. والصواب (القزيمة) وهي بلدة على الساحل بقرب ثول، في مفيض وادي قديد تابعة لإمارة رابغ، ذكرها أيوب صبري باشا في كتاب (مرآة جزيرة العرب) سنة ١٢٨٩ هـ بقوله: «والقوافل المترددة بين مكة والمدينة تواصل سيرها إلى (القزيمة) بعد استراحة قصيرة تمكنها من الاستسقاء من مرحلة (خليص). والقزيمة هي المرحلة الرابعة وبينها وبين خليص اثنتا عشرة ساعة سيراً بالجمال. ومرحلة (القزيمة) بها ثلاثة آبار، إلا أن مياهها مالحة بعض الشيء، وذلك لقرها من البحر، ولما كانت هذه القرية وفيرة الأسماك فقد لقيت استراحتها رواجاً بين المسافرين المحليين المترددين عليها. والقوافل المتحركة من هذا الموضع تصل إلى (رابغ) التي تبعد مسيرة ست عشرة ساعة عن (القزيمة) من ناحية المدينة المنورة».

٢. داء أبو الركب ويعرف بـ: (حمى الضنك)، هو مرض مداري منقول بالبعوض يحدث بسبب فيروس الضنك. تشمل الأعراض الحمى والصداع وآلام العضلات والمفاصل وطفح جلدي متميز شبيه بطفح الحصبة.

٣. رابغ: هي إحدى محافظات منطقة مكة المكرمة وهي مدينة قديمة تقع على ساحل البحر الأحمر في إقليم تهامة، تبعد عن جدة حوالي ١٤٠ كم في اتجاه الشمال،... وكانت قديماً من ديار بني ضمرة من قبيلة كنانة، بها ميقات (الجحفة) وهو ميقات لأهل مصر والشام. معجم معالم الحجاز، مصدر سابق: ٦٥٤.

٤. يعني القوليرا (الهيضة): والكوليرا، والتي تعرف أحياناً باسم الكوليرا الآسيوية أو الكوليرا البوابية، هي من الأمراض المعوية المعدية التي تُسببها سلالات جرثوم ضمة الكوليرا المنتجة للذيفان المعوي. وتنتقل الجرثومة إلى البشر عن طريق تناول طعام أو شرب مياه ملوثة ببكتيريا ضمة الكوليرا من مرضى كوليرا آخرين.



٥٠٤: يوم الجمعة منها إلى (الوادي)،^١ سقياً من ماء السيل، وانقطعت العلة

بحمده تعالى.

٦٠٩: يوم السبت أيضاً في الوادي على ماء السيل.

٧٠٥: يوم الأحد أيضاً في الوادي على ماء السيل.

٨٠٥: يوم الاثنين منه إلى (الريان)،^٢ فيه بساتين ومياه.

٩١٢: يوم الثلاثاء نزلنا (الغدير).^٣

١٠٠٦: يوم الأربعاء نزلنا قرب (المدينة المنورة) سقياً ورعياً من السيول.^٤

١١٠٦: يوم الخميس دخلنا المدينة وشاهدنا أنوارها الساطعة المنيرة، وبلغ المسير

من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة بمشي الأثقال ٩٧ ساعة، وأقمنا بها عشرة أيام مواظبين لزيارة مرقد سيد الأنام، ومصباح الظلام، ورافعين أكف الدعاء لجانب

«تعريف بكتاب» طريق الحج الأصوات (٤)

١. يقصد وادي الأبواء،... (مَرَّ الظَّهْرَانِ) من التقاء النخلتين، وينحدر وادي (الأبواء) إلى البحر جاعلاً أنقاض (وَدَّانَ) على يساره، ثم طريق إلى (هَرَشَى)، ويمر ببلدة (مَسْتَوْرَةَ) ثم يحمر. ويسمى اليوم (وَادِي الْخُرَيْبَةِ)، غير أن اسم (الأبواء) معروف لدى المثقفين، وسكانه بنو محمد من بني عمرو، وبنو أيوم من البِلَادِيَّةِ من بني عمرو. أنظر: البلادي، عاتق بن غيث، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للنشر والتوزيع: مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م: ١٥.

٢. الريان: قرية تتبع محافظة وادي الفرع... قال البلادي: «الريان: صدر وادي الرع، فيه عيون كثيرة وقرى عامرة منها الفقير قاعدة الفرع اليوم، يبعد جنوب المدينة ١٥٠ كم تقريباً، سكانه بنو عمرو بن حرب». معجم معالم الحجاز، مصدر سابق: ٧٤٠.

٣. ويعني هنا (غدير خم)، بين مكة والمدينة، وبينه وبين الجحفة ميلان، وهي منطقة تقع في صحراء فسيحة على مسير السيول في وادي «الجحفة»، حيث يجري هذا المسيل من الشرق إلى الغرب في الشتاء، ويمرُّ بمنطقة الغدير، ثم ينتهي منه إلى الجحفة ثم منه إلى البحر الأحمر فيصب فيه،... معجم معالم الحجاز، ٦: ١٢٤٣.

٤. وهي السيول القريبة من المدينة المنورة، حيث اشتهرت المدينة بكثرة مزارعها ومياهها الكثيرة.



- السلطنة السنية، وللحضرة المشيرية، ولجميع إخواننا المسلمين.
- ٢٢-٠٦: يوم الاثنين تحرّكنا من المدينة المنورة متوجهين على طريق القصيم، نزلنا مقابل (جبل أحد)^١، بقرب سيدنا حمزة على سيل عظيم.
- ٢٣-١٠: يوم الثلاثاء، منه إلى (وادي الحرة)^٢، سقياً من ماء السيل.
- ٢٤-٠٩: يوم الأربعاء نزلنا (الحناكية)^٣، قرية من قرى المدينة فيها قلعة مشتملة على أربعين نفراً من العساكر الهايتية^٤، ومن كثرة أمطار هذه السنة هدم أكثرها.
- ٢٥-٠٧: يوم الخميس منها إلى (الأرطاوى) على سيل.
- ٢٦-٠٧: يوم الجمعة منها إلى (العرجة)^٥، على سيول عظيمة.

١ . جبل أحد و مكانه: وقعت فيها المعركة التاريخية بين النبي ﷺ وبين كفار مكة، وهو يقع كما يشير عاتق الحربي: «هُوَ مِنْ أَشْهَرِ جِبَالِ الْعَرَبِ، يُشْرِفُ عَلَى الْمَدِينَةِ مِنَ الشَّالِ، يُرَى بِالْعَيْنِ، وَلِأَهْلِ الْمَدِينَةِ بِهِ وَكَعُ وَحُبٌّ، وَهُمْ يُسَمُّونَهُ (حِنْ) مِنْ بَابِ التَّدْلِيلِ! وَقَدْ وَرَدَتْ فِي فَضْلِهِ أَحَادِيثٌ، وَكَوْنُهُ أَحْمَرَ جَمِيلٌ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي حُدُودِ حَرَمِ الْمَدِينَةِ». معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، مصدر سابق: ١٩.

٢ . يوجد بالمدينة المنورة حرتان «الابتان» إحداهما شرق المدينة المنورة وتسمى «حرة واقم» والأخرى غرب المدينة المنورة وتسمى «حرة الوبرة»، وهما اللتان تحدان حرم المدينة المنورة وقرية منها، والمقصود هنا (حرة واقم)، الواقعة شرق المدينة المنورة، وهي المعروفة بـ: (حرة بني قريظة).

٣ . الحناكية: وتقع في الجزء الشمالي الشرقي من منطقة المدينة المنورة، يحدها من الشمال منطقة حائل، ومن الشرق منطقة القصيم، ومنطقة الرياض، ومن الجنوب محافظة المهدي، ومن الغرب محافظة خيبر، وهي تبعد عن المدينة المنورة مسافة ١١٠ كم.

٤ . الهايتية: بمعنى الجماعة غير المنضبطة.

٥ . وهي (عرجا)، ويقال (عرجة) بالتاء المربوطة، وهي عجرة قديمة نامية أسست على ماء يعرف بهذا الاسم، تقع شمال الدوادمي على بُعد ٣٠ كم، تعرف بمزارعها ونخيلها، وسكانها المحاميد من قبيلة الروقة من عتيبة، يوجد بها ماء قريب منها يعرف بـ: (الشاش)، قال ياقوت: «العرجة: بكسر الراء، ماء لبني نمير». المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ٩٢٥.



٢٧-٠٨: يوم السبت منها إلى (الأصفر)،^١ على سيل عظيم وأمطرننا فيه إلى مطلع الفجر.

٢٨-٠٨: يوم الأحد إلى (سمر الهميلية)،^٢ على سيل عظيم وأمطرننا إلى الليل.

٢٩-٠٨: يوم الاثنين إلى (وادي الرشا)،^٣ على سيل كثير، وأمطرننا فيه ليلاً.

الساعة: [شهر] صفر:

٠١-٠٩: يوم الثلاثاء منه إلى (وادي الرمة)،^٤ على سيل كثير وأمطرننا فيه ليلاً.

٠٢-٠٧: يوم الأربعاء منه إلى (عقلة أبان)،^٥ على سيل كثير وأمطرننا ليلاً.

١. ولعل مقصده ومراده «أصفر عفيف» لأنني لم أجد ذكراً لهذه التسمية في المعاجم الجغرافية المهمة بالجزيرة العربية، يقول صاحب المجاز: «ويقع فيما يشبه الفج بين جبلين، فالجبل القائم شماليه جبل أصفر طويل، يقال له (أصفر عفيف)، ويمتد شمالاً ويمعن في الامتداد، وبه مناهل ومسميات، ويصاحبه من الناحية الشمالية الشرقية جبل (الوريكة)، وفي امتداده (أبا الحصائية) و(قرنين)، وبها من الناهل منهل (قليثة)». المجاز بين اليامة والحجاز، مصدر سابق: ١٤٩.

٢. لعل مقصده «سميراء»، وهي تعرف اليوم بـ: (القصر)، قال حمد الجاسر: «وهي بلدة ذات نخل وسكان كثيرين تابعة لأقليم حابل»، المناسك وأماكن طرق الحاج ومعالم الجزيرة، مصدر سابق: ١١٦، ٤١٣.

٣. وادي الرشا: وادٍ عظيم في عالية نجد ومن أهم الأودية التي تجري في وسط نجد ويبلغ طوله تقريباً ١٨٠ كم من الشمال إلى الجنوب ويسيل باتجاه الشمال حتى يصل منطقة الخرما وخربيان التابعة لمنطقة القصيم، وهو من البلاد التابعة لأمارة الدوادمي، ويبعد عن مدينة الدوادمي أربعة وأربعين كيلاً. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق ٣: ١٢٨٩.

٤. وادي الرمة: الذي كان وادي الباطن امتداداً له، وذلك لتساع عرضه وطوله وسيطرته على مساحة شاسعة إذ يعبر الجزيرة العربية من الغرب إلى الشرق كما أنه أطول واد يشبه الجزيرة العربية إذ يبلغ طوله تقريباً أكثر من ١٠٠٠ كم، ...

٥. (العقلة) هي البئر القريبة الماء والقصيرة الرشاء أخذت تسميتها من كونها يمكن أن يستقى بها بعقل البعير، و(أبان) جبلان من أشهر جبال وسط شبه الجزيرة العربية (نجد) قديماً وحديثاً، ويقعان في



٠٣-٠٨: يوم الخميس نزلنا خارج (النبهانية)^١، قرية من قرى (القصيم) كثيرة البساتين والعيون وأمطرنا ليلاً.

٠٤-٠٨: يوم الجمعة منها إلى خارج (الرس)^٢، بلدة معتبرة كثيرة البساتين والعيون. ٠٥-٠٨: يوم السبت منها إلى بلدة (عُنَيْزَة)^٣ من أكبر بلاد (القصيم) أهلها أخيار، كثيرة البساتين والعيون. وأقمنا بها ثمانية أيام وسيّرت حاجّ الأحساء إلى حضرة الفريق مع حمدان بن ناصر.

١٤-٠١: يوم الاثنين نزلنا (وادي عنيزة)^٤، متوجهين إلى الكويت سقياً ورعيّاً، وأقمنا فيه يومين.

١٦-٠٦: يوم الأربعاء منه إلى (روضة منها الصالح)^٥، قرية من قرى (بريدة) فيها

منطقة القصيم إلى الغرب في مدينة النهائية، ... معجم بلاد القصيم، مصدر سابق ١: ٢٢١.

١. قرية النهائية تقع في الجزء الغربي لمنطقة القصيم في شرق جبل أبان الأسمر. ويمر بجانبها وادي الرمة على بعد ٥ كم، وهي اليوم مدينة مترامية الأطراف.

٢. الرس: منطقة في غربي القصيم، تقع في هضبة نجد، ويحدها من الشرق البدائع ومن الغرب قصر ابن عقيل والشنانة ومن الشمال الخبراء والقرين ومن الجنوب دخنة. الرس تبعد عن الرياض (٣٨٥ كم)، وعن المدينة المنورة (٤٠٠ كم). يقول ياقوت الحموي (معجم البلدان الرس والريسي واديان بنجد أو موضعان، وقال عليّ: الرس من أودية القبيلة. وقال غيره: الرس ماء لبني منقذ ابن أعيا من بني أسد. معجم بلاد القصيم، مصدر سابق ٣: ١٠٢٣.

٣. عُنَيْزَة: منطقة تاريخية تقع في الجزء الشمالي الأوسط من هضبة نجد إلى الجنوب من مجرى وادي الرمة، وتحيط بها كثبان رملية من الشمال والغرب تسمى رمال الغميس بينما يقع إلى الجنوب منها رمال وغابات الغضا في منطقة الشقيقة، وهي المدينة الثانية في القصيم، وقد كانت من أقوى مدن القصيم تجارة، وأكثرها كثافة سكانية. معجم بلاد القصيم، مصدر سابق ٦: ١٦٣٨.

٤. لا يوجد شيء اسمه وادي عنيزة، وإنما ربا طاف على أحد الوديان الموجودة بالقصيم فاطلق عليه وادي عنيزة.

٥. الصحيح (روضة مهنا الصالح): تقع قرب بلدة الربيعة في منطقة القصيم. اشتهرت روضة المهنا، بكثرة المياه والزراعة فيها، ولقد سميت بروضة مهنا نسبة إلى أمير القصيم السابق وأمير



بساتين ومياه.

١٧-٠٦: يوم الخميس منها إلى (نفوذ الزلفي)،^١ من بلاد (القصيم)،^٢ لو اجتمع تتوازن بلاد الأحساء والقطيف.

١٨-٥: يوم الجمعة منه إلى (الفرزوك) رعيّاً لا سقيّاً.

١٩-٠٦: يوم السبت منه إلى (أبرق،^٣ الجراب) رعيّاً لا سقيّاً.

٢٠-٠٦: يوم الأحد منه إلى (مقطاع جراب) سقيّاً ورعيّاً على آبار كريمة اللون والطعم والريح.

٢١-١٠: يوم الاثنين في (أبرق جراب) رعيّاً.

٢٢-١٢: يوم الثلاثاء منه إلى (الدّحول)،^٤ سقيّاً من مياه الأمطار مجتمعة في غار جبل .

٢٣-٠٣: يوم الأربعاء منه إلى (أبرق الدّحول) رعيّاً فقط.

الربيعية مهنا بن صالح أبا الخيل الذي كان يمتلكها. ويكيبيديا الإلكترونية.

١. الزلفي: تقع مدينة الزلفي في إقليم نجد في أقصى شمال منطقة الرياض على الحدود القصيمية الشرقية، وتبعد عن مدينة الرياض مسافة ٢٦٠ كم تقريباً شمالاً، وهي مدينة عامرة كبيرة ذات أسواق تجارية ونخيل ومزارع وذات أحياء متباعدة تقريباً،... معجم اليمامة، مصدر سابق: ٥٢٩.

٢. لا تعد الزلفي من بلاد القصيم.

٣. أبرق أو الأبراق، والبرقا، يطلق على التي شمال النير من أواسط نجد... والأصل في البرق اختلاط لوني البياض والسواد، ثم توسع فيه فأطلق على كل لونين اختلطا، وهي حجارة يخالطها الرمل،... معجم اليمامة، مصدر سابق ١: ٤٨.

٤. الدحول: مفردها الدّحل: وهي فتحة طبيعية في الأرض، يمكن للإنسان الدخول منها والسير بطرق متعرجة ومنحدرة تضيق وتتسع وتصل غالباً إلى مياه. وجمعه دُحُول،... نقب في الأرض، ومن أشهر دحول الصمان: دحل أبا الجرفان ودحل أبا السيقان ودحل أبا الضيان وغيرها عشرات الدحول.



- ١٢-٢٤: يوم الخميس منه إلى (الصمان)^١، لا ماء ولا مرعى.
- ٦-٢٥: يوم الجمعة منه إلى (اللصافة)^٢، على آبار وأقمنا بها يوم السبت.
- ١٠-٢٧: يوم الأحد منها إلى (القرعاء)^٣، الخالية من الماء والمرعى.
- ٢١-٢٨: يوم الاثنين في (أبرق القرعاء).
- ١٠-٢٩: يوم الثلاثاء نزلنا قرب (الكويت) مرعى لا ماء.
- ١٠-٣٠: يوم الأربعاء نزلنا (الكويت)، [وهي] بلدة معمورة خالية من البساتين والنبات قليلة المياه، على جانب البحر، وأقمنا بها يوم الخميس وصلينا بها الجمعة.

الساعة: [شهر] ربيع:

- ٥-٠٢: يوم الجمعة بعد الصلاة تحركنا منها صحبة صاحب الرفعة مبارك الصباح^٤،

١. الصَّمَان: هي هضبة مستطيلة تقع في شرق شبه الجزيرة العربية وتمتد الهضبة من الربع الخالي جنوباً حتى الحدود العراقية شمالاً وذلك بطول ١٠٠٠ كم تقريباً وبتراوح عرضها بين ٨٠ إلى ٢٥٠ كم تقريباً، ويبلغ ارتفاع الهضبة ما بين ٢٥ متر عند حافتها الشرقية و ٤٠٠ متراً عند حافتها الغربية ويمجدها من الغرب الدهناء ومن الشرق السهل الساحلي للخليج [الفارسي]، ويسمى القسم الجنوبي من الصمان بالصلب والشمالي بالصمان. الصَّمَان، مصدر سابق ١: ٩٢، ١١٣.
٢. اللصافة: كانت تعرف قديماً (لصاف) وقد اشتق أسمها من الصف وهو ثمر الشفاح الذي يشبه طلعته الخيار إلا أن لونه أحمر، تقع شمال بلدة القرعاء بـ: ٢٠ كم، وتعد «شواجن» أو آبار اللصافة أحد أشهر موارد المياه في صحراء الصمان، وشكّلت يوماً من الأيام أهم تلك الموارد وملتقيات البادية، فهي من أشهر المناطق التي تقصدها القبائل البدوية كمنطقة رعي للأغنام والإبل.
٣. قرية تقع على طرف الصمان، في الطريق المتجه إلى الكويت.
٤. الشيخ مبارك بن صباح الصباح (١٨٤٠-١٩١٥ م)، حاكم الكويت السابع والمؤسس الحقيقي لها. تولى الحكم في ١٧ مايو ١٨٩٦ ولُقب بـ: (مبارك الكبير). ازدهرت الكويت في عهده تجارياً، وشيدت فيها أولى المدارس النظامية، كما شُيد في عهده أولى المستشفيات الطبية.



إلى (الجهرة)،^١ [وهي] منتزه لأهل الكويت فيها قصر ونخيل قليلة.

٠٣-٠٤ : ليلة السبت ويومه مسرى إلى (اسفوان)،^٢ منتزه لأهل البصرة نزلنا بقصر

ذي الفضيلة نقيب أفندي فيها مياه كثيرة وبستان الأفندي المؤما إليه.

٠٤-٠٧ : يوم الأحد منه إلى البصرة بضيافة حضرة نقيب أفندي.

٥٩٨ : تكون ساعات المسير.

يوم الاثنين مساءً من البصرة ركبنا (مركب لندن) وتحررنا ليلة الثلاثاء بصحبة صاحب العزة نقيب زاده،^٣ السيد محمد سعيد أفندي،^٤ لزيارة حضرة أفندي الوالي - حرسه الله تعالى - ونحن، و جناب مبارك الصباح بضيافة حضرة السيد المؤما إليه،^٥ في (الوابور)،^٦ المذكور.

١ . الجهرة أو الجهراء: مدينة كويتية عامرة، تقع على مسافة ٣٢ كم إلى الغرب من العاصمة الكويت، وكانت تعتبر قديماً امتداداً لمنطقة كاظمه، اشتهرت بأبارها العذبة وزراعتها من النخيل والخضروات. الغنيم، د. يعقوب يوسف دولة الكويت الأماكن والمعالم، مركز البحوث والدراسات الكويتية: الكويت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٤م : ١١٥ .

٢ . الصحيح (سفوان)، ويقال لها (صفوان): مدينة عراقية، تقع في أقصى جنوب العراق قرب الحدود العراقية - الكويتية، يقابلها في الجانب الكويتي منفذ العبدلي الحدودي. يقع قرب بلدة سفوان جبل سنام. وهو من المرتفعات القليلة في تلك المنطقة.

٣ . نقيب الجيش) هو الذي يتكفل بإحضار ما يطلبه السلطان من الأمراء وأجناد الحلقة ونحوهم. (زاده) كلمة فارسية تأتي بعدة معاني منها: أرسنوقراطي، فارس، قطب، نبيل. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، مصدر سابق: ١٥٢ .

٤ . هو محمد سعيد باشا الموصللي، تولى إدارة لواء نجد (الحسا) لثلاث فترات الأولى (١٢٩٥-١٢٩٦هـ)، والثانية (١٢٩٨-١٣٠٢هـ)، والثالثة (١٣١٤-١٣١٤هـ)، ومع ذلك كانت عليه تجاوزات ومخالفات. الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إقليم الأحساء: ٢٢١ .

٥ . أي المشار إليه.

٦ . كلمة تركية تكتب (بابور) وتكتب بالتركي (Vapur) ومعناها باللغة التركية هو: السفينة البخارية القديمة.



[عدد ساعات سير الرحلة] ساعة، ١:

٠٦٤: من الأحساء إلى الرياض.

١٨٣: من الرياض إلى مكة المشرفة.

٠٩٧: من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

١٠٠: من المدينة المنورة إلى عنيزة.

١١٧: ومن عنيزة إلى الكويت.

٠٣٦: من الكويت إلى البصرة.

١٠١: من البصرة إلى بغداد.

٦٩٨: تكون الساعات.

تمت والحمد لله على التوفيق.

فهذا ما كان أمر ذهابي وإيابي وأنا أسأل الله تعالى الذي لا يخيب سائله ولا يحرم قاصده نائله، أن يديم أيام دولة مولانا السلطان الأعظم،^٢ الخاقان الأفخم، سلطان السلاطين،^٣ وحامي ذرى الملة والدين، ويؤيد دولته، ويخلد ملكه، وأن يوفق حضرة أفندينا الذي ماشق أحد من أمثاله لسعيه غبار، ولا بلغ مدى جرية أثر له من الآثار، وهذا حديث يأكل الأحاديث في كل شجر نار، وأن يجعله دائماً مسهلاً لأمر هذه الملة

١ . يقصد الساعات التي استغرقها الطريق في التنقل بين هذه المناطق.

٢ . السلطان الأعظم: ورد هذا اللقب من ألقاب سليمان القانوني، سليمان بن سليم خان الأول (١٤٩٥-١٥٦٦). الألقاب والوظائف العثمانية، مصدر سابق: ٤١.

٣ . سلطان: لقب من الألقاب التي استخدمها الحكام في الدولة العثمانية ابتداء من عهد السلطان يلدرم بايزيد، أما سلطان السلاطين فهو من الألقاب التي أطلقت على سليمان القانوني. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مصدر سابق: ١٣٥، الألقاب والوظائف العثمانية، مصدر سابق: ٩٨.



المحمدية، والفرقة الناجية الإسلامية، مولاي وملاذي صاحب الدولة السيد مدحت باشا، كان الله له وحماه من كل ولّه.

في ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٨٨ هـ، وأنا الفقير إلى الله عزّ شأنه سعدي زاده، السيد داود).

الطريق الرابع: طريق الحاج في الشعر الأحسائي :

لم يقتصر الاهتمام والعناية بطريق الحاج الأحسائي على النشر والوصف الجغرافي الصرف، بل دخل مجال الأدب والشعر، ليحلّق بكفي سماء الخيال، فيصف الشاعر الأحسائي عبد اللطيف بن عبد الوهاب آل بوشيت الجفري (ت: ١٤٠٣ هـ)، في كتابه (هداية المسالك لمؤدّي المناسك)، والتي تعرّض فيها لطريق الحاج الأحسائي الراكب على الإبل من الأحساء إلى مكة المكرمة مروراً بالدهناء إلى الرياض ثم فيافي القصيم إلى منطقة الحجاز بوصف جميل ورشيق، نورده لتعم الفائدة: ^١

يا قاصداً أرض الحجاز مؤدياً
وتؤمّ للبيت العتيق تزوره
من (هجر) للخط الحديد مما شياً
و(التوضحية) عن يسارك حولها
و(الخرج) يأتي عن يسارك بعدها
أعني (الرياض) فقد زهت بقصورها
فاقت بمنظرها العجيب وحسنها
وارحل.. تمرّ بطلعة منحوتة
لفريضة ثبتت من القرآن
فاعرف طريقك واستمع لبياني
فتمرّ بالدهناء والصمان
ماءً لذيذ بالحلاوة هاني
مأوى الكرام ومنزل الشجعان
وحدائق وشوارع ومباني
ما شاده كسرى من الإيوان
من صخرة وأنزل إلى الوديان

١ . المطلق، عبد الله حمد، البوابة الجنوبية للأحساء: الطرف في ماضيها وحاضرها، الرياض: [د.ن.]،

الطبعة الأولى: ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م: ٤٦٨.



بين المروج وحسنها وجمالها
حتى تشاهد بلدة معمورة
وتمرّ (شقرا) ثم تأتي بعدها
و اترك لخبّ لا تمر فبعده
انزل (عفيفاً) و(الدفينة) بعده
ثم (المويه) ف(ركبة) مع عرقها
ولتأت للميقات فاحرم عنده
ميقات نجد والكويت وهجرنا
يَمَنُّ (يَلْمَنُ) فالعراق بعرقها
وكذلك المصريُّ يحرم عندها
و(حليفة) لأهل المدينة والذي

بعد هذه الرحلة الممتعة والأجواء الجميلة التي عشناها مع الشاعر البوشيت وهو يتنقل بنا من ديار إلى ديار ونحن نيمّم شطر الأراضي المقدسة حيث مكة المكرمة والمدينة المنورة، نجد أن الشاعر ألمح في قصيدته إلى عدة نقاط مهمة نذكر أبرزها:

خطة السير والمنازل التي يسلكها الحاج الأحسائي من حين مغادرته الأحساء إلى مكة المكرمة، وهي كالتالي:

يبدأ الطريق مماشياً لطريق سكة الحديد القديم لقطار الحجاز إلى أن يصل إلى بلدة (التوضحية) مع جعلها في جهة اليسار، ثم إلى (الوديان والمزارع) إلى أن تصل بلدة (الكميت)، ثم إلى (مرارة)، ثم (شقراء)، ثم تأتي (صحراء النفوذ)، ثم (الدوادمي)، إلى أن يصل (الجبلان)، ثم (قاعية)، ثم (عفيف والدفينة)، ثم (المويه)، ثم (ركبة)، ثم (عشيرة)، ثم الميقات (قرن المنازل)، بعده مكة المكرمة وهي نهاية الرحلة.



وهي تعادل حدود ١٦ منزلاً، يقف عندها الحاج أو يمرّ عليها في طريقه إلى مكة المكرمة .

* إنَّ الحاج في طريقه إلى مكة المكرمة يحرص على الوقوف والاستراحة عند مصادر المياه الصافية، وذلك بغرض التزوّد منها وإرواء الدواب بعد مشقة الطريق وعناء السفر، وعدم النفوق تعباً وعطشاً، لذا أشار الشاعر إلى الأماكن المهمة والتي يكون الحاج بحاجة للتعرفّ عليها والاستفادة منها ليكون على دراية تامة بمعالم الطريق إلى الديار المقدسة، فذكر (التوضحية) والتي تتمتع بالماء العذب الزلال، فقال عنها:

و(التوضحية) عن يسارك حولها ماءً لذيذٌ بالحلاوة هاني

ثم منطقة الرياض، حيث يتصف أهلها بالسخاه وإكرام الضيف، فقال عنهم:

و(الخرج) يأتي عن يسارك بعدها

مأوى الكرام ومنزل الشجعان

أعني (الرياض) فقد زهت بقصورها

وحدائق وشوارع ومباني

ثم إلى المزارع والوديان التي تلي الرياض، حيث تتوفر المراعي الخضراء والمياه الصافية، كما ذكر (الدوادمي) التي فيها «ريق النبات ومنهل الظمان»، كما ذكر (الدفينة)، وهي من المناطق التي تتوفر فيها مصادر الحياة التي لا يستغني عنها المسافر، فقال في شأنها «أرض عليها مرتع العربان».

ولهذا نلاحظ أنّ الشاعر إضافة إلى توضيح المنازل التي يسير عليها القاصد إلى مكة المكرمة فإنّ ما ذكره يعتبر خارطةً للطريق لو سار وفق المناطق والمنازل المشار إليها، وهذه الخارطة تضمن عدم انحراف الحاج عن الجادة، حيث أعطى تصوّراً ورؤيةً عن بعض هذه المعالم وما تمتاز به عن غيره، فبعضها أشار للسما، والبعض المراعي الخضر والمرايع الخضراء، ومنها تمتاز بالسخاء وإكرام، وهي في مجموعها تعدّ لفتات



وتوجيهات مهمّة نابعة من تجربة ومعرفة.

* هناك منازل يمرّ من خلالها الحاجّ أو بقرها؛ لكن ينصحه الشاعر من واقع التجربة بتجنّب الوقوف عندها وشرب الماء فيها، والتي منها (خف) فقال: «واترك لخب لا تمر»، كما ذكر منطقة أخرى ماؤها مر، وهي (قاعية) فقال عنها:

(قاعية) لا تقربنّ مياهها مرّ فلا يجلو إلى العطشان

وهي توجيهات مهمة يلحظها الحاجّ ويهتم بها، ولا يحتاج لهدر الوقت بالوقوف عندها وهو في أمس الحاجة إليه لإدراك موسم الحج.

* إنّ الرحلة تكمن أهميتها في كونها تجسّد تجربة حية عن طريق الحاج، ونموذجاً لما يسلكه الأحسائيون في طريقهم إلى مكة المكرمة، وقد تخللها بعض الوصف لمناطق الرحلة، يتعرف القارئ لها عن بعض معاناة الطريق.

الفصل الثاني، الطريق غير المباشر :

يتألف الطريق غير المباشر من مجموعة من الدروب والطرق التي وردت في المصادر وقد قسّمناها إلى مرحلتين:

* المرحلة الأولى من الأحساء إلى اليمامة:

وهي تشكل ثلث الطريق وبالماء والزاد، وانما قد يتوقف في موضع وفي رحلة أخرى يتوقف في موضع آخر.

إنّ هذا الطريق يمثل طريقاً واحداً أو عدة طرق تبعاً لرحلة الحاج، وهو يختلف عن الطرق الأخرى التي أتينا على ذكرها، مما يعني أن الحاج الأحسائي، يسلك طرقاً مختلفة في رحلته إلى الديار المقدسة تبعاً للأوضاع الأمنية، وتقلبات الطقس، أو لخبرة الدليل بالطرق، بملاحظة أن الرحلة تختلف في بعض أجزائها ومنازلها تبعاً لرؤية



الدليل وقائد الرحلة الذي قد يعدل برأيه من منطقة إلى أخرى وفقاً لتجاربه السابقة أو لرؤيته المستندة على ظروف مؤاتية أثناء الرحلة.

من محطات الحاج إلى الحرمين :

سلك الحاج الأحسائي والسائرون على دربه عدّة طرق مختلفة قد تتقاطع في بعض المناطق وقد تختلف، وقد ورد ذكرها في المصادر التاريخية بأنها من المناطق التي يسلكها الحاج الأحسائي في الذهاب أو العودة.

وهذه الطرق فرضتها العوامل الطبيعية لها من حيث وفرة الماء والكلأ، وكذلك توفر عنصر الأمن والأمان فيها، نوردها تباعاً وفق ذكرها في المصادر:

ثادق:

تقع في الجزء الشمالي الغربي من منطقة الرياض، تتبعها إدارياً بامتداد طولي من الشمال إلى الجنوب بنحو (١٥٠ كم)، ومن الشرق إلى الغرب بنحو (٥٠ كم) تقريباً. وتعتبر محافظة ثادق عاصمة إقليم المحمل، وتتبعها إدارياً عدة بلدات صغيرة ورد ذكر بعضها ضمن طريق الحاج الأحسائي، وهي: رغبة، البير، الصفرات، الحسي، رويغب، مشاش السهول، رويضة السهول.

وتمتد محافظة ثادق من الشمال حتى محافظة المجمعة، ومن الجنوب حتى محافظة حريملاء، ومن الشرق حتى الحظافة والمثبهة، ومن الغرب حتى محافظة شقراء. حظيت بلدة ثادق بمرور بعض قوافل الحج الأحسائية المارة بالعارض (الرياض)، فكان ممن توقف فيها الأمير سعود بن آل غريير رئيس بني خالد بعساكره في قافلة الحج الأحسائية المتجهة إلى مكة عام ١١١٩ هـ.^١



حائل:

حائل مدينة تقع شمال نجد وهي من المناطق الوسطى، وتشتهر حائل بالجليلين الشهيرين جبل سلمى و جبل أجا. تقع مدينة حائل في منطقة جبل أجا غربي وادي الأديع، وفي قلبها تقع بئر سماح المشهورة بغزارة و عدوبة مياهها. وتمتد المدينة على شكل قوس حول جبل السمراء كما يحدها شرقاً شعيب المليح المعروف باسم المليحية، ويحدها من الشمال والغرب جبل أجا. هذه المنطقة مما أشارت المصادر أنها ضمن مناطق طريق الحاج الأحسائي التي ارتبطت ببعض الحوادث منها:

ففي مطلع القرن الرابع عشر، سار الشيخ علي بن محمد بن موسى الرمضان (١٢٥٣-١٣٢٤ هـ)، في زعامة قافلة للحج، فمروا بطريقهم بمدينة حائل، وفيها استضافهم وزير أميرها ابن رشيد، فلما أرادوا الرحيل منهم كان خروجهم ليلاً فلما تركوا البلاد خلف ظهورهم أغار عليهم بعض الأعراب، ولم يترك عندهم صغيرة ولا كبيرة، فأنشأ الشيخ الشاعر الرمضان قصيدة بعث بها إلى الوزير قال في مستهلها:

ومنهم من يعشيّ الضيف ليلاً وينهب رحله قبل الصّباح

ولحسن الحظ ركب الوزير خلف الجناة، واسترجع عليهم ما أخذ منهم من البداة^١.

العارض (الرياض):

ففي العارض يجتمع كثير من الحجاج القادمين من شرق الجزيرة العربية كمنطقة البحرين والأحساء، حيث يقوم الحجاج أثناء مرورهم بالتوقف في العارض التي اشتهرت منها محلة كان يمكث فيها هؤلاء الحجاج ويتزودون منها بالمؤن ويبيتون

١ . آل ابي خمسين، الشيخ محمدباقر بن موسى، علماء هجر و أدباؤها في التاريخ، تحقيق: أحمد



فيها بـ: (خان جليلة).^١

و (خان جليلة) هو محلّة قامت ابنة أمير الرياض (العارض) حجر اليمامة حليلة بنت عبدالمحسن بن سعيد الدرعي الحنفي بالعناية بها وإيقافها على الحجاج وما يحتاجونه منها، وقد مدحها شاعر الرياض جمعيش اليزيدي الحنفي بقوله:

جليلة معروف الحسائي إلى حتى عذوق نواميها سواه البواكر
ودافي ذراها في شتاها إلى سري من الشرق هبات الرياح البواكر
فمن لا يؤدي حقها في ربوعها بضرب الهنادي واحتمال الجراير
يموت على غبن كليلٍ من العمى وعقب العمى غدا إلى النار صاير

وفي الستينات الهجرية من القرن الرابع عشر، كان كثيرٌ منهم يبيتون في مساجدها، ثم يواصلون رحلهم منطلقين منها، وقد استقرت بعض الأسر الكريمة في هذه الجهة منذ حقب طويلة نتيجة لهذا العامل.^٢

وفي عام ١١٢٧هـ، مرّ العارض حاجاً للأحساء وأميره ابن عفالق و تزود بالمؤمّن الغذائية، وبيع صاع السمّن بمشخص، والطلاي بأحمرين.^٣

وكذلك سنة ١١٣٣هـ، في صفر مر حاج الأحساء على العارض وأميره سيف بن جبر.^٤

١ . خان جليلة: هي المكان المعروف في الرياض اليوم بـ (خان شليلة) و حرّف الاسم لسهولة النطق. وتقع في شرق وادي الوتر من جهة منفوحة. حيث إن أقدام ما اطلعت من إشارة إلى هذا الاسم (خان شليلة) في القرن الثالث عشر الهجري كما في إحدى الوثائق. وللجليلة أخت تسمى مريم والتي وهبت لها نصيبها من حديقة الكيشية في مقرن (الرياض)، قبل عام ٩٦٩ هـ، و أحفاد مريم اليوم هم أسرة آل عساكر في الرياض من الدرعو من بني حنيفة. قوافل الحج المارة بالعارض، مصدر سابق: ٨٦.

٢ . قوافل الحج المارة بالعارض، مصدر سابق: ٨٥-٨٧.

٣ . تاريخ الفاخري، مصدر سابق: ١١٩.

٤ . تاريخ ابن لعبون، مصدر سابق: ١٤٩.



العارض وراء الوشم، والوشم هو الذي ينتهي إليه آل فضل إذا توسّعوا في البرّ، وهم بنو زياد، والجميلة، وعرب الخرج وهم العقفان والبرحان، ومن بلادهم: البريك والنّعام، و[هما] قريتان في واد منيع إذا حصّن مدخله بسور كان أمنع بلاد الله.

عليه طريق ركب الأحساء والقطيف، وفيه يقول بعضهم:

لعلك توطيني نعماً وأهله ولو بانّ بالحجاج عنه طريق^١.

عَفْلَانَة: منطقة قريبة من ضرية على مسيرة ثلاثة أميال، ماؤها عادية كانت لكلب ثم صارت لبني كلاب قرب عفلان.

والعفلانة ماء لبني وقاص من بني كعب بن أبي بكر ابن كلاب وحذاءها أسفل منها عين المحدثه، فيها سقاء للغنم وهي منطقة على طريق حاجّ اليمامة بهما يسقون وينزلون حيث يضعون أمتعتهم، وبين النبعين ثلاثة أميال.

والعفلانة: بين المحدثه وبين القبلة، وعين المحدثه، وتعد من المنابع التي يستفيد منها الرحالة والحجاج^٢.

العيينة: العيينة قرية تقع على وادي حنيفة في منطقة العارض بوسط نجد، تبعد حوالي ٣٥ كم عن مدينة الرياض، وهي تشكّل مع جارتها الجبيلة «مركز العيينة والجبيلة» التابع لمحافظة الدرعية.

وتشتهر العيينة بالزراعة وذلك لتوفر المياه فيها، ويعمل سكانها - والذين هم مزيج من الحاضرة والبادية - في الزراعة وتربية المواشي.

تمرّ قوافل الحجّ الأحسانية ببلدة العيينة، حيث أشار ابن شدقم إلى قصيدة قالها

١ . العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبوظبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٤ : ٣٥٣.

٢ . معجم البلدان، مصدر سابق ٤ : ١٣٢.



الأمير حمزة العامري مادحاً الأمير كبش بن منصور ابن جهماز الحسيني (ت ٧٢٨ هـ) حيث كان اتجاه حمزة العامري في طريقه للمدينة قادماً من الأحساء بعد مروره على هذه البلدة فقال:

قلت الشريف ابن الشريف أزروه فأنحيتُ من حول العيينة ضميراً
ابن الرسول ابن البتول ابن الولي يرفلنَ أرفال النعام الجفلاً

كما أنها محطة يمكن الاستراحة فيها والتموّن منها، كما حدث في عام ١١٢٠ هـ، إذ نزلت قافلة الحجّ الأحسائية العيينة في طريق العودة من مكة، وكانت بقيادة نجم بن عبيدالله بن غرير.^٢

ولهذا فإنّ هذه البلدة (العيينة) تعدّ من أهمّ البلدات التي ينزل بها الحجّاج والعابرون من الأحسائيين، سواء كانوا ذاهبين إلى مكة المكرمة بقصد الحج والتعمّر، أو المدينة المنورة بقصد الزيارة، وذلك نظراً لما تتمتع به هذه البلدة من موارد طبيعية جاذبة.

النّعام: نعام بلدة صغيرة في منطقة نجد، تتبع محافظة الحريق التابعة لمنطقة الرياض. تقع على وادي نعام الذي تقع عليه أيضاً بلدة الحريق. ونعام بلدة قديمة عرفت بهذا الاسم من قبل الإسلام.

والنّعام، و[هما] قريتان في واد منيع إذا حصّن مدخله بسور كان أمنع بلاد الله. قال ابن عرّام:

«وإلي هذا الوادي أزمع تنكز على الهرب حين خاف من الملك الناصر، وعليه طريق ركب الحسا، وعليه ممرّ الركب من الحسا والقطيف، وفيه يقول بعضهم:

١. قوافل الحج المارة بالعارض، مصدر سابق: ٨٧.

٢. ابن ربيعة، مدعا، تاريخ ابن ربيعة، تحقيق: د. عبدالله بن يوسف الشبل، الأمانة العامة للاحتفال

بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية: الرياض، الطبعة الأولى: ١٩٩٩ م: ٨٠.



لعلك توطيني نعاماً وأهله ولو بانَ بالحجاجِ عنه طريقٌ^١

الوباءة: موضع في وادي نخلة اليمانية، عنده يكون مجتمع حاجّ البحرين واليمن وعمّان والخط.^٢ وهو وادٍ يصبّ فيه يدعان وبه مسجد لرسول الله ﷺ وبه عسكرت هوازن يوم حنين ويجتمع بوادي نخلة الشامية في بطن مر و سبوحة وادي يصب في اليمامة على بستان ابن عامر وعنده مجتمع نخلتين وهو في بطن مرّ.

ونخلة وادٍ من الحجاز بينه وبين مكة مسيرة ليلتين، أحد الليلتين من نخلة يجتمع حاجّ اليمن ونجد ومن جاء من قبل الخط وعمّان والبحرين مجتمع حاجهم بالوباءة، وهي أعلى نخلة، وهي تسمى النخلة اليمانية وتسمى النخلة الأخرى الشامية، وهي التي تسمى ذات عرق، وأما أعلى نخلة ذات عرق فهي لبني سعد بن بكر الذين ارضعوا رسول الله ﷺ، وهي كثيرة النخل وأسفلها بستان ابن عامر وذات عرق التي يعلوها طريق البصرة وطريق الكوفة.^٣

العقير الواجهة البحرية للأحساء:

يُعدّ ميناء العقير من أهمّ الموانئ شرقي الجزيرة العربية، فهو يقع شرقي مدينة الهفوف على بُعد مسيرة ١٢ ساعة بالجمال، وعلى مسافة ٤٠ ميلاً،^٤ عن مدينة الهفوف في اتجاه الجنوب الغربي.

ويعتبر البوابة البحرية للأحساء ووسط الجزيرة العربية كنجد وغيرها، كما أنه يتمتع بتاريخ حافل في مجال التوريد والتصدير، وهو من أقدم الموانئ في العصور

١ . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، مصدر سابق ٤ : ٣٥٣.

٢ . معجم البلدان: مصدر سابق ٥ : ٣٥٩.

٣ . شراب، محمد محمد حسن، المعالم الأثرية في السنة والسيارة، دار القلم: دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ، ٢ : ٢٦٦.

٤ . الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إقليم الأحساء، مصدر سابق: ٣٢٩.



الإسلامية، فالباخر تأتيه من الهند والصين وعمان وهرمز وبلاد فارس وغيرها من المناطق المختلفة، إما للتجارة استيراداً وتصديراً، أو من أجل قوافل الحج التي تأتي من مختلف البلدان، لتسير عبره إلى الديار المقدسة، ومن ثم تعود إليه.

وقد لعب ميناء العقير دور الوسيط في تجارة اللؤلؤ بين الهند والصين وبلاد فارس في تصديرها إلى نجد و جنوب الجزيرة العربية ومكة والمدينة، فقد كانت الأحساء من أبرز المناطق التجارية التي تصلها البضائع المختلفة وتصدرها إلى مختلف أرجاء الجزيرة العربية، عبر الطرق التي تربطها بأصقاع الجزيرة العربية.

فهو ميناء تصدّر إليه البضائع المتنوعة مثل الأرز والسكر والقهوة والهيل من الهند والبصرة وفارس وعمان والبحرين، وتغادره أسبوعياً قافلة تجارية مكوّنة من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ جمل إلى منطقة الهفوف ونجد، وأهم صادرات الميناء التمور والمنتجات المتعلقة بها والحصر والحميز والسمن والجلود والعباءات.^١

كما كان ميناء العقير يصدر الخيول العربية الأصيلة إلى الهند والتي عرفت بها الأحساء. نقل صاحب كتاب (مسالك الأبصار)، - من أعلام القرن الثامن الهجري - عن: «علي بن منصور العقيلي من أمراء عرب البحرين، وهم ممن يجلبون من البحرين الخيل إلى هذا السلطان [من سلاطين الهند]؛ أنّ لأهل هذه البلاد علامة في الفريس، يعرفونها بينهم، متى مارأوها في فرس اشتروه بما عسى يبلغ ثمنه».^٢

ونقل عن نفس الأمير العقيلي عن كثرة تواصل العقيليين مع الهند قوله: «قال إنّ أسفارنا ما تنقطع عن الهند وعندنا كثير من أخباره وتواترت الأخبار عندنا أنّ هذا السلطان محمد بن طغلقشاه فتح فتوحات جليله...».^٣

١. م. ن. : ٣٣٠.

٢. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، مصدر سابق ٣ : ٥٩.

٣. م. ن. : ٣ : ٩٠.



وبغض النظر عن الجانب التجاري للميناء والأهمية الذي يشكّلها لسكان الجزيرة العربية، وسوف نتحدّث عن بعض القوافل العابرة من خلاله إلى الحجّ.

فقد أولت الدولة العثمانية ميناء العقير أهمية كبيرة واعتبرته أهم ميناء لإيالة الحساء، لما كان يحتله هذا الميناء من شهرة واسعة لقرون طويلة، في الجانب التجاري والسياسي، فهو البوابة الرئيسية لوسط وشرق الجزيرة العربية على البحر، لذا كان تاريخه عريقاً، وفاعلاً لسنوات طويلة.

ففي المصادر القديمة كان العقير فرضة الصين وعمان والبصرة.^١

فمما أشارت المصادر سنة ٩٨٠ هـ، إلى أهمية هذا الميناء والدور الذي يؤديه في خدمة الحاج، حيث كان هو الميناء الرئيس في الأحساء لاستقبال الحجاج القادمين من الهند، وكافة المناطق الواقعة إلى الجنوب الشرقي للخليج [الفارسي] تقريباً،^٢ إضافة إلى الدور الاقتصادي الذي كان يؤديه في الاستيراد والتصدير.

وكانت الدولة العثمانية فرضت رسماً على الحجاج القادمين عبر الخليج [الفارسي] مروراً بالأحساء في طريقهم إلى مكة المكرمة،^٣ وكان مقدار ذلك الرسم في سنة ٩٨٣ هـ، واحد فلوري على كلّ جمل ينضم إلى قافلة الحجّ.^٤

وقد استمر هذا الدور العظيم لميناء العقير على مدى عدة قرون تتقاطع عليه الوفود المختلفة لأداء فريضة الحجّ، إما لقربها منه، أو لكونه أكثر أماناً من ميناء جدة في بعض الحقب التاريخية، أو لأنّ طريق البر الذي يأتون عبره من العراق يكون غير سالكٍ وعرضة لهجوم اللصوص وقطاع الطريق الذين ينشط دورهم مع اقتراب

١ . العثمانيون في شرق وشبه الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٢٨٨ .

٢ . م. ن. : ٢٨٨ .

٣ . م. ن. : ٣٣٤ .

٤ . م. ن. : ٣٤٨ .



موسم الحج.

كما شهدت منطقة الحجاز في بدايات القرن الرابع عشر الميلادي ١٩١٣م / ١٣٣١هـ، الفترة التي دخلت فيها الأحساء تحت الحكم السعودي الثالث بعد أن خضعت للملك عبد العزيز آل سعود حالةً من عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي، حيث أصبح ميناء جدة غير آمن، وشعر الأشراف أن حكمهم على الحجاز إلى الزوال، الأمر الذي استشعره الحجاج القادمون من المناطق البعيدة عن طريق البحر.

لذا زادت حركة نقل الحجاج عبر الخليج [الفارسي] إلى العقير من العراق وإيران وعمان إضافة إلى الهند فأصبح العقير من أهم نقاط العبور لحجاج تلك المناطق، وبخاصة في فترة ما قبل فتح الحجاز، حيث أعطت القدرة الإدارية للأمير عبدالله بن جلوي حاكم الأحساء من قبل الملك عبدالعزيز سمعة طيبة لدى الحجاج القادمين عن طريق ميناء العقير.^١

الفصل الثالث: السائرون على درب الحج الأحسائي

لا يقتصر طريق حاج الأحساء على أهالي شرق شبه الجزيرة العربية، وإنما كانت تتوافد عليه حجاج مختلف بقاع العالم التي ترى فيه طريقاً آمناً إلى الديار المقدسة، وقد استمرت مواكب الحج من خارج شبه الجزيرة ترد إلى الأحساء عبر ميناء العقير لمرافقة الحجاج فيها إلى بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وكانت مسيرتهم في قوافل كبيرة تحت حماية قوية حفاظاً لأمنهم وسلامتهم من قطاع الطرق التي ترصد للحجاج في كل طريق و موطن.

يقول مايكل ن. بيرسون: «أشارت مدونة تاريخية برتغالية إلى أن منطقة الحسا (الأحساء) التي تضم ميناء البحرين والتي تبعد أربعين فرسخاً عن جزيرة البحرين،

١ . ميناء العقير، مصدر سابق: ٢٣٤.



كانت نقطة تجمع الفرس و عرب المنطقة لتتوجه إلى الحج، ويسافر هؤلاء ايضاً كالأخرين في قوافل، لأن طريقهم في هذه الحالة يعبر صحاري اليمن،^١ ويتعرضون كثيراً لهجمات الأعراب أو البدو الذين يعيشون هناك، لذا فإن هناك حاجة إلى قوافل قوية الحماية.^٢

وإليك بعض الدول التي تتخذ من الأحساء طريقاً لبلوغ الديار المقدسة عبر ميناء العقير. وهي على النحو التالي:

البحرين:

المعروف أن أهل البحرين يسلكون في طريقهم للحج درب البحر، في معظم الأحيان تجنباً لمخاطر طريق البر. ويصحبهم بعض الهنود، وصولاً إلى جدة، ومنها إلى الساعدية حيث يجرمون منها ثم إلى مكة المكرمة وقد أكد ذلك الشيخ أحمد السرحان، أنه قد سلك طريق البحر معظم علماء البحرين، فمما قاله في كتاب (مناسك الحج): «... ويؤيد ذلك ويقويه فعل جملة من علماء عصرنا من المجتهدين ممن عرف هذا الطريق - طريق البحر عبر جدة - وسلك لا بأس بذكر أسمائهم ليكون المكلف على بصيرة في دينه لئلا يعرض عمله للفساد، فمنهم العلامة الأواه والدنا المقدس الشيخ علي بن المرحوم الشيخ عبدالله - نورالله مضجعهما - فإنه ركب البحر وسلك هذا الطريق مرات عديدة ولم يحرم من البحر وتجاوز الموضوع وتوجه للساعدية، وأحرم منها وبصحبتة جملة من (الحيدرابادية) وغيرهم، أخبرني شفاهاً، وأخبرني شفاهاً، ألا من أحرم من البحر فعمرته باطلة، وكان يشترط على من يدفع له نيابة عن الغير ألا يحرم من البحر، وهذا معلوم من سيرته، وقد عرف الناس منه ذلك، ومنهم ذو المجد والشرف السيد محمد بن السيد شرف، فإنه لما حج لم يحرم من البحر ومنع الناس من

١ . الصحيح وسط الجزيرة العربية.

٢ . الحج إلى مكة المكرمة من شبه القارة الهندية، مصدر سابق: ٩٩.



الإحرام منه أيضاً، ومنهم العلامة الأوحد الشيخ أحمد بن صالح، والسيد عبدالقاهر، والعلامة الأوحد السيد ناصر بن السيد أحمد بن السيد عبدالصمد، ومنهم الشيخ حبيب والشيخ عيسى وجملة من علماء البحرين، [منهم] عمنا الشيخ، كالشيخ محمد علي وابنه الشيخ عبدالله، والشيخ أحمد بن حرز [الجد حفصي] وغيرهم، مما يطول الكلام بذكر أسمائهم - نور الله ضرائجهم - ومنهم العالم المدقق السيد عبدالحسين الموجود فعلاً فإنه لم يحرم من البحر، ومنع الناس من الإحرام، وتوجه إلى الساعدية وأحرم منها.

ومنهم علامة الزمان السند ناصر عدنان [الغريفي] نزيل البصرة فعلاً إلى غير ذلك من أهل العلم وأهل المعرفة»^١.

فهو وإن كان بحثه عن الإحرام من البحر أو البرّ لمن حج عن طريق البحر من جدة، فإنه يؤكد كثرة من حج من علماء البحرين بطريق البحر دون البرّ. وذلك تجنباً لطريق البرّ لما يتخلله من مصاعبه ومخاطره التي يعاني منها قوافل الحاج، إما لسلبهم أو لفرض عليهم ضرائب باهظة للعبور.

إلا أنّ التوجه الكبير للطريق البحري لا يمنع أن يكون طريق البرّ هو أحد الخيارات التي كان يسلكها حجاج البحرين إلى مكة المكرمة سواء في الذهاب أو العودة، وذلك لأسباب متعددة:

قد يكون اختلاف التكلفة بأن البرّ أقلّ كلفة من البحر.

الخيار الأمني بمعنى عدم توفر الأمن في حقبة زمنية على طرق جدة، فقد ثبت تربص بعض قطع الطرق بين مكة المكرمة وجدة، أو بين المدينة المنورة وجدة، حيث يذهب الحاج البحراني بعد أداء مناسك الحج.

١ . الستراوي، أحمد بن محمد بن سرحان البحراني المتوفى ببلنجة (١٣٧٠هـ)، مناسك الحج، المطبعة

الشرقية: البحرين، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م: ٢٥-٢٦.



محدودية العدد للحجاج عن طريق البحر بما تسعه السفينة المتجهة إلى جدة، مما يجعل خيار البرّ سبيلاً آخر لمن كانت به رغبة ملحة على عدم تفويت موسم وبركة الوصول والبلوغ لبيت الله الحرام، بسبب عدم وجود مكان شاغر، أو غيرها من الأسباب.

فكانت الأحساء خيارهم للذهاب إلى الحج على طريقها، ضمن حجاج الأحساء، وتحت حمايتهم، وقد ذكرت المصادر المتفرقة لبعض الشخصيات العلمية البحرانية التي ذهبت أو قدمت من الحج عن طريق حاج الأحساء.

ومنها الحادثة التي ذكرها العلامة الشيخ يوسف بن أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن صالح بن عصفور الدرّازي البحران (١١٠٧-١١٨٦ هـ)، صاحب كتاب (الحدائق الناضرة) في حدائقه:

«أقول: قد أشرنا سابقاً إلى أنه لا يخفى على من تأمل جميع البلدان ولا شاهد أبلغ من العيان فإنه ليس شيء منها موافقاً للعلامات الرياضية التي حكموا بإفادتها العلم فضلاً عن الظن، فإني من جملة من تتبع ذلك لأني لما سافرت إلى حج بيت الله الحرام على طريق البحر رجعت على طريق البرّ، فاتفق أن جماعة الحجاج اتفقوا مع الأمير أن يمضي بهم إلى المدينة، فخرجنا من مكة المعظمة سائرين إلى جهة الشمال خمسة أيام حتى وصلنا إلى منزل يقال له (مران)، فوقع بين الأمير والحاج اختلاف في ما وعدهم، وطلب منهم مبلغاً زائداً، واتفق الأمر على عدم مغدي^١ المدينة المشرفة والرجوع إلى الأحساء، فمشينا على الطريق المتوجهة إلى الأحساء، وكان مسيرنا إلى طرف المشرق، وكنت إذا جنّ الليل أرى المسير على مطلع الثريا وهو مائل عن نقطة المشرق إلى جهة الشمال كما لا يخفى، حتى وصلنا إلى منزل يسمى سديرة (السدير)^٢، فسافرنا منه

١. أي عدم الغدو لها.

٢. يقع إقليم سدِير إلى الشمال من مدينة الرياض، ويبعد عنها حوالي ١٨٠ كم.



قاصدين إلى جهة الشمال ثلاثة أيام ثم دخلنا الأحساء، والأحساء كالبحرين والقطيف قبلتها الآن على نقطه المغرب، وما ذكرناه من هذا الانحراف الذي شاهدناه موافق لما ذكره علماء الهيئة، مما قدمنا نقله ومؤيد له مع أن قبلة هذه البلدان منذ وجدت و دخلت في الإسلام في زمن النبي صلى الله عليه وآله»^١.

وهنا أشار إلى (السدير) بأنها واحدة من المناطق التي يمر عليها حاج الأحساء للتزود، كما حدد زمن المسير من اليمامة إلى الأحساء بثلاثة أيام.

وكان ممن سار على طريق حاج الأحساء الشيخ أحمد بن الشيخ حسن بن محمد بن علي بن خلف بن إبراهيم بن ضيف الله البحراني الحويصي الدمستاني، وكان العلماء يستغلون الفترة الزمنية الطويلة التي يستغرقها الطريق في النقاشات العلمية، وتبادل الإجازات الروائية.

يقول الشيخ عبدالمحسن بن محمد اللويهي في إشارة لحصوله على إجازة من الشيخ أحمد الدمستاني عندما سار حاج البحرين مع حاج الأحساء عن طريق البرّ فقال: «وهو أول من أجاز لي الرواية، وقد اجتمعت معه في رجوعي من مكة المشرفة بغرة محرم الحرام سنة ١٢٠٥ هـ»^٢.

عمان: من الطرق التي كان يسلكها أهل عُمان للحج الطريق يمرّ عبر الأحساء إلى نجد، وهو عمدة الطرق المعروف بطريق البريمي بين عمان والأحساء، حيث يصل إقليم عمان بأرض نجد طريق واحد بري يخرج من نجد إلى الهفوف بالأحساء، ثم يتجه جنوباً ماراً بواحة سلوى جنوبي شبه جزيرة قطر، ثم يدخل ساحل عمان الشمالي، وأول ما يلقي في أرض عمان من عمران مدينة أبو ظبي،^٣ وقد قرّر «لوريمر»

١ . البحران، الشيخ يوسف، الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، حققه وعلق عليه: محمدتقي الإيرواني، دار الأضواء: بيروت، الطبعة الثانية: ١٩٨٥ م، ٦: ٤٠٦.

٢ . أعلام هجر، مصدر سابق ٢: ٤٦٨.

٣ . إمارات الساحل و عمان والدولة السعودية الأولى، مصدر سابق: ٤٢.



أنه يمكن قطع المسافة بين الهفوف والبريمي في عشرة أيام، أما القوافل فتقطع المسافة في مدة شهر^١.

وتعتبر واحة البريمي عمدة طرق عمان لأنه بوابته البرية إلى وسط و شرق الجزيرة العربية، وهذا ما يؤكده الجغرافي القديم الشهير بابن السباهي زاده (ت ٩٩٧هـ) في كتابه: «أوضح المسالك» حيث يقول:

«وليس من العارض ولا من اليامة طريق إلى عمان، بل الطريق من العارض إلى الأحساء و القطيف ثم يسير الإنسان من الأحساء و القطيف على الساحل إلى عُمان»^٢. ولعل ما يميّز هذا الطريق أنه خاضع للحماية العثمانية و حكام نجد من السعوديين و آل رشيد، مقابل بعض المبالغ المالية، كما أنّ الحكومات المتعاقبة على حكم الأحساء كانت تأخذ طريق الحجاج بعين الأهمية و العناية من قطاع الطرق، لذا كان يفضله الكثير من حجاج الهند و العجم و غيرهم، إضافة للمناطق القريبة من الأحساء. أما طريق الحج العماني الذي يسلكه حجاج عُمان إلى المشاعر، فأحدهما يتجه من عمان عبر البريمي ثم إلى يبرين، ثم إلى البحرين، ومنها إلى اليامة، ثم إلى ضرية.

وتشير المصادر الجغرافية إلى أنّ «ضرية» كانت ملتقى حجاج البصرة و البحرين، حيث يفترون بعدها إذا انصرفوا من الحج، فيتجه حجاج البصرة شمالاً و حجاج البحرين باتجاه اليمين، كما كان بإمكان القوافل القادمة من عمان اجتياز منطقة الأحساء لتلتقي بطريق اليامة مكة المكرمة، ويتبع أهل عمان أهل الإمارات، سواء في طريقهم عبر الأحساء أو الطريق الساحل الخيار الآخر لهم لبلوغ مكة المكرمة.

قطر:

كانت قطر لسنوات طويلة على صلة وثيقة بالأحساء، وليس لهم طريق بري لبلوغ

١ . إمارات الساحل و عمان و الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق: ٤٢.

٢ . أوضح المسالك إلى معرفة البلدان و الممالك، مصدر سابق: ٤٦٢.



مكة المكرمة إلا عن طريق الأحساء، وهذا الأمر بقي إلى اليوم، حيث لا يوجد لهم طريق إلى مكة مستقلاً، وإنما يأتون إلى الأحساء، ومنها يتجهون إلى الديار المقدسة، أما في الركب الأحسائي وفي حمايته، أو مستقلاً بعد أن يتم التزوّد وأخذ المؤونة من الإحساء؛ لتنطلق مسيرتهم عبر اليمامة.

الكويت:

تعتبر الكويت من أقاليم التابعة لأمانة الحسا والتي سبقت الوجود العثماني سنة ٩٥٧هـ، وقد لعبت دوراً مهماً في تسيير الحجّاج إلى الديار المقدسة لواء البادية، الذي كان يتولّى زعامته أمراء من بني خالد، حيث كان مكانهم في الجهة الشمالية من الأحساء، ويشمل أجزاءً واسعة من الكويت وصحراء الصّمان.

وقد كانت الدولة العثمانية تجزل لهم العطاء، وكان الغرض عند العثمانيين من تأسيس هذه الإيالة هو عملية جذب هذه الزعامات إلى الحكم العثماني، وإشراكهم في الحفاظ على استقرار الأوضاع فيها.

إضافة إلى السيطرة على القبائل المتنقلة ومنع تهديدها، ومنع تهديدها لطرق المواصلات سواء التي إلى البصرة أو الديار المقدسة.^١

لذا من المحتمل أنه تمّ إقامة حامية عثمانية في الكويت يقيم فيها أمير لواء البادية، أو أحد أتباعه وذلك للحفاظ على أمن وسلامة المواصلات تنفيذاً لمتطلبات السلطات العثمانية.^٢

وكان من أمراء هذا اللواء آل عريعر زعماء قبيلة بني خالد، وتعاقب عليه عدد من الأمراء منهم: سعدون بن حميد (قبل ٩٧٦هـ) العثمانيون في شرق وشبه الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٣٠٧. ابن حميد (غير سعدون)، (٩٨٣هـ)، سعدون بكلي وهو

١ . العثمانيون في شرق وشبه الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٣٠٧.

٢ . م. ن. : ٣٠٨.



غير سعدون الأول (٩٨٤ - إلى بعد ٩٩٢ هـ)، براك بن حميد (١٠٧٢ هـ)،^١ وغيرهم. كذلك الحجاج الكويتيون استفادوا من الوجود الخالدي لإيصالهم إلى الحج مقابل مبلغ من المال، وذلك عن طريق صحراء الصمان ومنه إلى نجد في طريق حاج الأحساء، الذي تشمله الدولة العثمانية برعايتها ومتابعتها خلال القرن العاشر، ثم استمر نفس الأمر والوضع في القرن الحادي عشر بعد أن آل الحكم في الأحساء إلى بني خالد أنفسهم.

فكان ضمن موكبهم معظم حجاج الكويت بمختلف أطرافهم وأصولهم العرقية أو الجغرافية.

وتبعاً للحجاج القادمين من إيران والعراق كان حجاج الكويت يستأجرون عمال بني خالد المتواجدين في كوت الخوالد، وهي قلعة صغيرة، لحر استهم أثناء رحلات الحج التي كانت محفوفة بالمخاطر وعمليات النهب والسلب من قبل أهل البادية وقطاع الطرق، لأن بني خالد كانوا مسيطرين على مناطق شاسعة من الجزيرة العربية فإنهم كانوا يقومون بهذه الخدمة لقاء أجر مادي.^٢

بلاد فارس:

اعتمد العجم درب الحاج الأحسائي كأحد أهم الطرق للوصول إلى الديار المقدسة لما يتمتع هذا الطريق عن غيره من الطرق بالقصر والأمن التي كانت تسعى الحكومات المتعاقبة على الأحساء على توفيره للحجاج، وهذه العلاقة تمتد إلى أقدم العصور، عرفنا منها ما يرجع إلى بدايات القرن التاسع الهجري، مما يعني أن العلاقة كانت قبل هذا التاريخ من القرن الثامن الهجري، منها ما وقع في أحداث سنة ٨١٣ هـ حج من عراق

١. العثمانيون في شرق وشبه الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٣٠٨.

٢. جمال، د. عبدالمحسن يوسف، لمحات من تاريخ الشيعة في الكويت (من نشأة الكويت إلى

الاستقلال)، دار النبأ للنشر: الكويت، الطبعة الأولى: ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م: ٦٣.



العجم جماعة عن طريق الأحساء والقطيف.^١

إذ كلمة (عراق العجم) يطلق سابقاً على عراق العجم منطقة جغرافية تشمل الأراضي الواقعة شرق (عراق العرب) بما في ذلك مدن مثل إصفهان والري وقزوین وكرمانشاه وتعرف هذه المنطقة أيضاً باسم إقليم الجبال تتضمن هذه المنطقة المناطق الجبلية الكردية والفارسية والآذرية، وذلك خلال تلك الفترة ما بين القرنين الحادي عشر والسادس عشر ميلادي.

كما كان يطلق اسم العراق على المنطقتين عراق العرب (المنطقة السهلية على حوض نهري دجلة والفرات)، وعراق العجم (المنطقة الجبلية) تسمية أرض العراقيين، ويفصل بين المنطقتين سلسلة جبال زاغروس.^٢

وفي سنة ٨١٤هـ لم يحج العراقيون بركب، وحج منهم ناسٌ قليل من شیراز وغيرها من طريق الأحساء والقطيف، ضمن حجّاج البحرين الذي يتولى حراسته بنو عقيل.^٣ وقد استمر الركب الأحسائي هو من يتولى توصيل الحجّاج العجم ففي سنة ٨١٥هـ، ولم يحج العراقيون سوى مجموعة قليلة منهم مع حجّاج البحرين.^٤ مع احتمالية أن يكون أمير الحاج الشيخ زامل بن حسين بن جبر أول أمراء الدولة العقيلية من سنة ٨٢٠ إلى سنة ٨٦٦هـ. ولعل ذلك قبل توليه الحكم.

وينقل على لسان محمد بن الحسن الحر العاملي قوله:

«وفي سنة ١٠٨٧هـ، أخذت الأعراب حجّاج العجم في طريق الحسا (الأحساء) بعد ما حجّوا وفُقد منهم خلقٌ كثير، وكان فيمن فُقد أخي الأصغر الشيخ علي،

١. الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، مصدر سابق ١: ٤٣٣.

٢. موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية.

٣. الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، مصدر سابق ١: ٤٣٤.

٤. م. ن.



وَسَلَّمَ أَخِي الْأَكْبَرَ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ، وَكَانَ قَدْ مَضَى عَلَى طَرِيقِ الْبَحْرَيْنِ، وَمَعَهُ مَلَا خَلِيلِ الْقَزْوِينِي الْأَخْبَارِي وَجَمَاعَةٌ^١، فِي إِشَارَةٍ إِلَى أَنَّ أَخَاهُ كَانَ ضَمَّنَ حَجَّاجَ الْعَجْمِ الَّذِينَ سَارُوا الْمَكَّةَ الْمَكْرَمَةَ عِبْرَ الْأَحْسَاءِ، فَفَقِدَ أَخُوهُ فَيَمِّنُ فَقَدْ، نَتِيجَةً لِلظَّرُوفِ الصَّعْبَةِ لَطَرِيقِ الْحَاجِّ.

حجاج الهند: كان حجاج الهند يذهبون إلى الديار المقدسة من خلال عدّة طرق، منها عن طريق البحر من خلال ميناء جدة لقربه من مكة وأقل خطورة من غيره، ومنها طريق اليمن عدن حيث يأتون ضمن الركب اليمني، وتارة يأتون مع حجاج فارس عن طريق البرّ مع حجاج بلاد فارس مروراً بالعراق حيث يكونون ضمن ركب الحجّ العراقي على درب زبيدة.

ومن هذه الطرق التي يسلكونها عن طريق العقير حيث يذهبون مع الركب الأحسائي المنطلق إلى الحج، وكان هذا حال العديد من حجاج الهند كما تؤكد المصادر، ففي سنة ٩٨٠هـ، تذكر المصادر العثمانية عن أهمية ميناء العقير، والدور الذي يؤديه في خدمة الحاج، حيث كان هو الميناء الرئيس في إيالة الأحساء، لاستقبال الحجاج القادمين من الهند، وكافة المناطق الواقعة إلى الجنوب الشرقي للخليج [الفارسي] تقريباً^٢.

الباب الثالث: موكب الحج الأحسائي، دوره وإسهاماته، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل: أمراء الحاج الأحسائي.

الفصل الثاني: الرفاة والأعطيات لأهالي الحرمين الشريفين.

الفصل الثالث: كسوة الكعبة تصنع في الأحساء.

١. المصطفى، حسين علي، أعلام الشيعة في الحجاز من القرن الثالث إلى القرن الحادي عشر، دار المحجة البيضاء: بيروت، أطراف: القطيف، الطبعة الأولى: ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م: ٦٤.

٢. العثمانيون في شرق وشبه الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٢٨٨.



الفصل الأول: أمراء الحج الأحسائي، تعريفات و مصطلحات:

من خلال المصادر التاريخية فإننا نجد أنه تم إطلاق مجموعة من المصطلحات على قافلة الحج الإحسائي، قد تختلف في المعنى حيناً، وقد تشابه حيناً آخر، ولكنها تعطي انطباعاً بحجم قافلة الحج التي تتراوح في الكبر والصغر.

ومصطلحات فيها من الدقة والجمال الشيء الكثير، وتعد مفتاحاً لفهم الواقع وطبيعة ركب أو قافلة الحج، فلكل مصطلح ظلاله ومعانيه، إضافةً إلى أن الحركة التاريخية أعطت لكل زمن لغته ومصطلحاته المستخدمة والمتداولة في عصره، فمثلاً «المرحلة والفرسخ» تعدّان من مقاييس المسافات في العصور القديمة التي انعدم استخدامها اليوم، ويرد ذكرها في المصادر، لذا من الضروري كمدخل وقبل الولوج في الحديث عن الركب التعريف ببعض المعاني اللغوية، وإليك قائمة ببعض المصطلحات المستخدمة:

الرُّكْبُ: في اللغة: ركب: ركب الدابة يركب ركوباً: علا عليها، والاسم الركبة، بالكسر، والركبة مرة واحدة. وكل ما على فقد ركب وارتكب، وكل شيء علا شيئاً: فقد ركبه؛ وركبه الدين، ركب الهول والويل ونحوهما مثلاً بذلك.^١

وقال بعضهم: الراكب للبعير خاصة، قال ابن السكيت وغيره: تقول: مرّ بنا راكب، إذا كان على بعير خاصة، فإن أتيت بجمع يختص بالإبل، لم تضيفه، كقولك ركب وركبان، لا تقل: ركب إبل، ولا ركبان إبل، لأن الركب والركبان لا يكون إلا لركاب الإبل. غيره: وأما الركاب فيجوز إضافته إلى الخيل والإبل وغيرهما، كقولك: هؤلاء ركاب خيل، وركاب إبل.

والركب ركبان الإبل، اسم للجمع؛ قال: وليس بتكسير راكب. والركب: أصحاب

١. ابن منظور، جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، دار صادر: بيروت، الثالثة: ١٤١٤ هـ: ١.



الإبل في السفر دون الدواب؛ وقال الأخفش: هو جمع وهم العشرة فما فوقهم.

قال تعالى: ﴿وَالرَّكْبُ اسْفَلٌ مِنْكُمْ﴾^١.

وقال صلى الله عليه وسلم: «سيأتيكم ركب مبغضون، فإذا جاؤوكم فرحبوا بهم»^٢.

ومن هنا اشتق المصطلح من ركوب الدابة والاعتلاء عليها، ويطلق المفرد (الرَّكْبُ)، على المجموع، فيقال لهم (رَكْبٌ).

في اصطلاح: لفظ يُطلق على العشرة فما فوق من رُكبان الإبل والخيل في السَّفر، وقد تعارف أهل مكة إطلاقها على الوفود القادمة من خارج مكة، ومنها الركب الأحسائي وركب عقيل والركب المصري والركب الشامي وهكذا.

قافلة:

في اللغة: سميت القافلة قافلة تفتاؤلاً بقفولها عن سفرها الذي ابتدأته، قال: وظن ابن قتيبة أن عوام الناس يغلطون في تسميتهم الناهضين في سفر أنشؤوه قافلة، وأنها لا تسمى قافلة إلا منصرفه إلى وطنها، وهذا غلط، ما زالت العرب تسمى الناهضين في ابتداء الأسفار قافلة تفتاؤلاً بأن ييسر الله لها القفول، وهو شائع في كلام فصحاتهم إلى اليوم.

والقافلة: الرفقة الراجعة من السفر. ابن سيده: القافلة القفال، إما أن يكونوا أرادوا القافل أي الفريق القافل فأدخلوا الهاء للمبالغة، وإما أن يريدوا الرفقة القافلة فحذفوا الموصوف وغلبت الصفة على الاسم، وهو أجود، وقد أففلهم هو وقفلهم، وأففلت الجند من مبعثهم^٣.

القفل: القفول: الرجوع من السفر، وقيل: القفول رجوع الجند بعد الغزو، قفل القوم يقفلون، بالضم، قفولاً وقفالاً؛ ورجل قافل من قوم فقال، والقفل اسم للجمع.

١. سورة الأنفال: ٤٢.

٢. لسان العرب ١: ٤٢٩.

٣. م. ن. ١١: ٥٦١.



التهديب: وهم القفل بمنزلة القعد اسم يلزمهم. والقفل أيضاً: القفول. تقول: جاءهم القفل والقفول، واشتق اسم القافلة من ذلك لأنهم يقفلون، وقد جاء القفل بمعني القفول؛ قال الرّاجز:^١

علباء أبشر بأبيك والقفل أتاك إن لم ينقطع باقي الأجل

وقد عرف في المصادر التاريخية باسم «قفل عقيل» عند رجوعها من الحج، كما شاهدناه في العديد من مواضع تاريخ الحاج الأحسائي.
المحمّل:

محمل أي موضع لتحميل الحوائج. وما على البعير محمل من ثقل الحمل،^٢ والمحمل، بفتح الميم: المعتمد، يقال: ما عليه محمل، مثل مجلس، أي معتمد. وفي حديث قيس: «تحمّلت بعليّ على عثمان في أمر».^٣

قال الشاعر:^٤

توخّاه بالأظلاف حتى كأنما يثير الكباب الجعد عن متن محمل

ويقال له الهودج، وكان في مواسم الحج يطلق على هيكل مغطي بقماش محملي أحضر كتبت عليه بالقصب آيات من القرآن يحمله جمل مزركش بأنواع الأقمشة والجلود وخيطة عليها الأصداف الصغيرة والمرايا، وكان يرافق المحمل أمير الحج.^٥

١. م. ن. ١١: ٥٦٠.

٢. م. ن. ١١: ١٧٦.

٣. م. ن. ١١: ١٧٦.

٤. م. ن. ١٠: ٢٤٣.

٥. انظر العبد، حسن آغا، تاريخ حسن آغا العبد «قطعة منه» حوادث سنة ١١٤٦هـ إلى سنة ١٢٤١هـ، تحقيق: يوسف جميل نعيسة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي: دمشق، الطبعة الأولى:

١٤٠٦هـ-١٩٨٦م: ١٣١، حاشية رقم ١.



الموكب: في اللغة: الموكب: بابه من السير. وكب وكوباً ووكباناً: مشي في درجان، وهو الوكبان. تقول: ظبية وكوب، وعنز وكوب، وقد وكبت تكب وكوباً؛ ومنه اشتق اسم الموكب؛ قال الشاعر يصف ظبية:

لها أم موقفة وكوباً بحيث الرقومرتعها البرير

والموكب: الجماعة من الناس ركبناً ومشاةً، مشتق من ذلك؛ قال ابن قيس الرقيات:

ألهزئت بنا قرشية يهتز موكبها رأت بي شبية في الرأس مني ما أغيبها

والموكب: القوم الركوب على الإبل للزينة، وكذلك جماعة الفرسان. وفي الحديث: «أنه كان يسير في الإفاضة سير الموكب».

الموكب: جماعة ركبان يسرون برفق، وهم أيضا القوم الركوب للزينة والتزهر، أراد أنه لم يكن يسرع السير فيها. وأوكب البعير: لزوم الموكب. وناقاة مواكبة: تسائر الموكب. وفي الصحاح: ناقاة مواكبة، للتي تعنق في سيرها.^١

ركاب الإبل للزينة، والموكب الجماعة من الناس يسرون ركبناً ومشاةً في زينة أو احتفال. والجمع: مواكب، وقد استخدمت هذه اللفظة بإطلاقها على جموع الحجيج القادمة إلى مكة المكرمة، وهي من المصطلحات التي أطلقها المؤرخون على قوافل الحجيج القادمة من الأحساء.

وقد وقع اختيارنا على استخدام (الموكب). لأنه من المصطلحات الدارجة، والأكثر شيوعاً عبر العصور، وكان يطلق على الجموع الكبيرة الذاهبة إلى الحج.

الموكب الأحسائي، ضخامة الموكب: وردت مجموعة من الإشارات التي تؤكد عظم وضخامة الموكب الأحسائي للحج، يمكن معرفتها من خلال الصور والمشاهد



التي كتب عنها مؤرخو الحجاز:

فالمؤرخ السخاوي في تاريخه (الضوء اللامع) ضمن حوادث سنة ٨٢٣هـ، يذكر قافلة (بني عقيل) حين مغادرتها الحجاز بعد أداء مناسك الحج، وأنها عائدة إلى بلاد البحرين،^١ مما يؤكد أهمية الموكب العقيلي في موسم الحج وأن لوجوده حظوة، فأرخ خروجهم معرفته بثقل وكيان الركب، في إشارة لما لهذا الموكب من منظر مهيب ومكانة في مكة بحيث يؤرخ ويكتب عنه.

كما تمثل هذه الجموع الغفيرة مع الحج العقيلي كنوع من الحرص على تأمين الطريق من القبائل التي على طرق القوافل التجارية، ودليل على القيمة المالية التي تحملها تلك القوافل وقيمة بضائعها، واعتبارها مصدراً رئيسياً، من المصادر التي تعزز اقتصاد سلطنة الجبور ببلاد البحرين.^٢

ويأتي حجاج البحرين في مجاميع كبيرة بقيادة الأمير أجود الذي أكثر من الحج كما اشرنا سابقاً فأتى مكة بالآلاف، وإذا وصل مكة فإنه يغدق على من في مكة بالبذل والعطاء،^٣ وذلك أن الأمير أجود بن زامل حرص منذ توليه السلطة في البحرين على الذهاب إلى الحج في كل عام ضمن موكب كبير، ففي سنة ٨٧٦هـ، ذهب إلى الحج، وكان معه أعداد كثيرة جداً،^٤ وهي كلمة توحى أن العدد من مرافقيه بلغ عشرات الآلاف، أما الألف والألفين لا يطلق عليها «كثير جداً».

ويؤكد ذلك أنه في سنة ٨٩٣هـ وحج الأمير أجود بن زامل، في نحو خمسة عشر ألفاً من الرجال، دون النساء، وكبر العدد وحاجتهم لمكان واسع للجلوس والتوقف

١. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مصدر سابق ٩: ٢٥٦.

٢. تاريخ البحرين وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٤٦٧-٤٦٨.

٣. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي ١: ١٩٠.

٤. إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية و... بمكة المكرمة مصدر سابق: ٢٠٢.



نزلوا في المحن اقرب حراء^١.

وفي إشارة أخرى تذكرها المصادر التاريخية تعود لسنة ٨٩٦هـ، عن الصعوبة التي يعيشها الحاج مما يضطره أمراء الحاج إلى إلغاء الحج في بعض الأعوام حفاظاً على الأرواح والأنفس، فيكون ضرب المثل بالموكب الكبيرة التي يشار لها بالبنان وحضورها موثر في الحج

فكان ممن تخلف عن الحج في هذا العام حجاج الشام والعراق،^٢ والمغاربة وابن جبر،^٣ فقد قرن أهمية الركب الجبري المنطلق من الأحساء، بأهمية الركب العراقي والأعاجم من الأتراك والمغاربة الذين يكون لفقدهم أثر في الحج لما يتركوه من أثر من عطايا وأعداد كبيرة يأتون بها.

وهذا ليس بغريب فقد حج أجود بن زامل عام ٩١١هـ في جمع يزيدون على الثلاثين ألفاً،^٤ وهذا عدد كبير إذا جاء في مجموعة واحدة موكب واحد، وهذا نابع لما أشرنا سابقاً أن موكب الحج الأحسائي، يضم الكثير من حجاج البحرين وعمان والأعاجم والهند، وغيرهم ممن يأتون في طريق الحج الأحسائي يحجون بحجه ويرحلون برحيله.

وقد استمرت هذه الجموع الكبيرة تأتي من الأحساء وما حولها بأعداد كبيرة حتى بعد زوال الدولة الجبرية لأن الأمر مرتبط في الغالب بعدد الحجيج وليس بالدولة

١ . أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، مصدر سابق ١ : ٤٧٦ .

٢ . الأعاجم الذين تعود أصولهم إلى بلاد الروم (آسيا الصغرى)، معجم البلدان ٣ : ٩٣ - ١٠٠ .

٣ . بلوغ القرى في ذيل إتخاف الوري بأخبار أم القرى، عز الدين عبدالعزيز بن عمر بن فهد القرشي المكي القسم الثاني من سنة (٩٠٩-٨٩٦هـ) دراسة وتحقيق، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي بجامعة أم القرى، إعداد الطالب: عليان بن عبد العالي بن عليان المحلبدي، إشراف الدكتور ضيف الله بن يحيى الزهراني ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، غير منشورة ١ : ٣٠٨ .

٤ . التاريخ السياسي لأمانة الجبور، مصدر سابق: ٦١ .



الجبرية، فوجد الحجيج بعد زوال دولة بني جبر قدموا مع الشيخ راشد بن مغاس حاكم البصرة والذي استغل ضعف بني جبر فبسط نفوذه على الأحساء، فقد حج بجمع كبير يقال نحو عشرين ألف حاج، وكان دخولهم لمكة في سابع ذي الحجة ونزلوا عن جبل حراء^١.

وهنا إشارات مهمة على عظم ركب الحج القادم من الطريق الأحسائي وهي:

«من الشرق»: تعبير عن القادمين من طريق الأحساء أي شرق الجزيرة العربية، ثم يقول: «جمع كبير»: إشارة إلى الأعداد التي تحج على حجهم، وبالطبع هي ليس من الأحساء وحدها، وإنما من مختلف المناطق المحيطة والقادمة من الخارج.

«نحو عشرين ألف نفس»^٢، وهي قياساً لتلك الظروف وتلك الأزمنة تعد أعداداً كبيرة جداً وتشكل منظراً مهيباً في الوسط المكّي.

«وكان دخولهم لمكة في سابع ذي الحجة»: وهنا إشارة إلى أن دخولهم مكة من الأمور الملاحظة والمشهودة التي تلفت النظر، ولا يمكن التغافل عنها.

وعن موكب^٣ الحاج الأحسائي في القرن الثاني عشر يقول عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (ت ١١٤٣ هـ)^٤، وهو يتحدث عن عظمتها فيقول: «إذا أشرف الإنسان من

١. قوافل الحاج المارة بالعارض، نفس المصدر: ٨١.

٢. م. ن. : ٨١.

٣. كلمة ركب كانت بمعروفة لدى أهالي الحجاز، فقد كانوا يطلقون على قافلة الحج القادمة من بغداد ركب بغداد، أو ركب العراق أو ركب الشام وهكذا. راجع: بشاوري، إعداد الطالبة: سامية محمد أسعد، إمارة الشريف غالب بن مساعد في مكة ١٢٠٢-١٢٢٨ هـ الموافق ١٧٨٧-١٨١٢ م، إشراف الأستاذ الدكتور محمد سعيد شعفي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بجامعة الملك سعود بالرياض سنة ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤ م، غير منشورة: ١٠٠.

٤. هو الشيخ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل النابلسي الدمشقي الحنفي القادري النقشبندي، من أعلام القرن الثاني عشر، وهو عالم وأديب ناظم صوفي (١١٤٣ هـ)، قام بهذه الرحلة سنة ١١٠٥ هـ وقد انتهى من كتابتها سنة ١١١٠ هـ



جبل أبي قبيس لا يرى جميع مكة بل يرى أكثرها، وهي تسع خلقاً كثيراً خصوصاً في أيام الحج، فإنه يرد إليها قوافل عظيمة من مصر والشام وحلب وبغداد والبصرة والحسا ونجد واليمن»^١.

حيث قارن النابلسي بين موكب الحج الأحسائي بمواكب الحج الكبيرة المشهورة القادمة من مصر والشام والعراق واليمن، في إشارة إلى أن موكب الحج الأحسائي كان يشكّل علامةً فارقةً في صفوف الحجيج لكثرة من فيه، ما جعلته يقف في مصاف هذه المواكب الكبيرة والبارزة والتي تعد أضخم المواكب التي ترد مكة.

١ . النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل (ت ١١٤٣ هـ)، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد: د. أحمد عبدالمجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة لكتاب: القاهرة، الطبعة الأولى: ١٩٨٦ م: ٤٤٧.



مهام أمراء الحاج الأحسائي:

التعريف: «أمير الحاج الأحسائي» هو الأمير المنتخب أو المشرف المعين على قيادة ركب الحاج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة والعودة بهم سالمين غانمين، وهي شخصية مهمة في ركب الحج، وتعدّ الشخصية الأولى فيه، ويتم اختيارها من قبل أعلى سلطة في الدولة.

وهذه الشخصية المحوريّة في الركب يجب أن تتمتع بمواصفات خاصّة ومهارات معيّنة وقدرات فائقة يتم على ضوئها إسناد المهام الجسيمة لها وإيكال جميع المسؤوليات والأمور الطارئة إليها، لهذا يتم تحريّ الدقة في اختيار أمير الحاج، وذلك حرصاً على سلامة الحجيج وأمنهم وتذليل الصعوبات والمخاطر التي تواجههم، سعياً إلى إنجاز رحلتهم وإنجاز فرضهم الخامس وهو الحج.

قال صاحب الفروع: «يعتبر في ولاية تسيير الحاج كونه مطاعاً ذارأي وشجاعة وهداية، وعليه جمعهم وتربيتهم وحرصتهم في السير والنزول، والرّفق بهم، والنصح، ويلزمهم طاعته في ذلك. ويصلح بين الخصمين، ولا يحكم إلا أن يُفوض، فيعتبر من أهله»^١.

وقال الآجري: «إمرة الحج، ولاية سياسية، وتدبير وهداية، لأنها من أجل المراتب الدينية، وأفخم الوظائف السنية، وأمير الركب هو الذي يجبرنا بالوفد في تلك الأماكن الكرام، والمشاعر العظام، والمتلبس بفرض شعائر ظاهرة في الإسلام، فدخل بها المرتبة الشريفة فوق النيّرين، وعلا محلّه على السّماكين، وناب عن الإمام الأعظم في خدمة الحرمين الشريفين»^٢.

وقد عرّفه على كامل قائلاً: «من يأخذ على عاتقه تأمين طريق قافلة الحج من

١. الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، مصدر سابق ١: ١٣٣.

٢. م. ن.



هجمات البدو، وتأمين المؤون وكافة المستلزمات الأخرى لوصول قافلة الحج إلى بيت الله الحرام في الوقت المحدد لها»^١.

مهام أمير الحاج: تعددت الأقوال في المهام المنوطة بهذه الشخصية المحورية في موكب الحج، وهذه المهام وإن اختلفت فإنها متشابهة في المضمون، ففي كتاب (إمارة الحج في العصر العباسي) يقول المصنّف: «إقامة الحج وتنظيم وتيسير سير قافلة الحجيج والعمل على تذليل الصعوبات أمامها حتى يصبح سفرها ميسوراً حين تقصد الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج، بالإضافة إلى تولي أحداث الموسم»^٢. وعليه ومن خلال ذلك يمكننا أن نستخلص مهام أمير الحج في الآتي:

١- مهام خلال الطريق:

وهي مجموعة من المهام التي يتولى أمير الحاج إنفاذها ورعايتها خلال الطريق، وهي مجموعة خصال:

الأولى: جمع الناس في سفرهم ونزولهم:

إذ من المهام المنوطة به جمع الناس أثناء المسير إلى الحج والحفاظ عليهم من الضياع والشتات، فكثير ما يفقد الحجاج أثناء نزولهم في المنازل التي يسلكها طريق الحاج نتيجة الغفلة وعدم الانتباه من أمير الحاج أو إهماله في متابعة شأنهم، فكان من مسؤولياته أن يحافظ عليهم من الشتات والتفرق بعيداً عن مقر الموكب ووجود مركز الحاج، وقد شهد التاريخ الأحسائي وفاة عدد من الحجاج نتيجة النسيان في بعض منازل الطريق ومراحله، وذلك لنوم بعض الحجاج أو ذهابه لقضاء الحاجة، فيتحرك

١ . إمارة الحج العراقي في عهدي حسن باشا وأحمد باشا (١٧٠٤-١٧٤٧م)، علي كامل حمزة السرحان، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مجلد ٢ العدد ١ حزيران ٢٠١٢م: ٩١.

٢ . إمارة الحج في العصر العباسي خلال الفترة (١٢٣-٢٤٧هـ)، مصدر سابق: ٢٦.



الركب دون الشعور بفقده.

الثانية: ترتيبهم في المسير والنزول:

يتولي أمير الحاج ترتيب السير والمنازل التي يحل بها ركب الحاج خلال فترات الطريق، فمن شأنه أن يعين محل نومهم، ومكان سكنهم، وترتيب حوائجهم من المأكل وغيره، ويعد من التقصير بواجبه إذا تخلف عن تلك المطالب خاصة وأن الحاج في الغالب يكون جاهلاً بالطريق والمناطق التي يسلكها ركب الحجيج، ويكون قد وضع ثقله وحمله وثقته بأمر أمير الحاج، معتمداً على خبرته ودرايته.

الثالثة: أن يرفق بهم في المسير:

تختلف إمكانيات الحجاج من شخص إلى آخر، فمنهم الشاب القوي، ومنهم الشيخ الكبير، وهناك من يذهب سيراً على قدميه، وهناك من يمتلك الراحلة التي تقله في المسير، إضافة إلى إمكانيات وقدرة المرأة، تختلف عن قدرة وتحمل الرجل. ومن هنا تحتم على أمير الحاج أن يراعي في سير القافلة التمايزات والاختلافات في ركب الحجاج ولا يرهقهم بما يتجاوز قدرتهم وطاقتهم، وكلما كانت القافلة أكبر كلما كان سيرها أبطأ وأثقل.

وقد شهد الموكب الأحسائي تباينات في الأحجام ففي بعض الفترات بلغ عدد الركب الأحسائي خمسين ألفاً، كما أنه يتشكل من الحجاج الأحسائيين والمناطق السائرة للحج على طريق الأحساء؛ كبعض الإيرانيين والهنود والبحرين وقطر وعمان والإمارات وغيرها ممن تفضل طريق الأحساء في ذهابها للحج.

الرابعة: أن يسلك بهم أوضح الطرق وأحسنها:

لا تتحرك القافلة للحج إلا بوجود دليل أو أكثر من خبير بطرق الحج من جهة الشرق للجزيرة العربية إلى اليمامة، ومن ثم إلى بلاد الحجاز، وذلك بناءً على عوامل عديدة، منها كون موسم الحج في الشتاء أو الصيف، توفر الآبار في بعضها دون



آخر، كون الطريق مأموناً من اعتداءات البدو عن غيره، إضافة إلى عوامل أخرى. وأمير الحاج يفترض أن يتم اختياره بناءً على دراية بقدراته و معرفته بطرق الحج المختلفة بلحاظ العوامل المذكورة، أو يعينه من يمتلك الخبرة المطلوبة لتحديد الطريق الأنسب والأمن لمسير الموكب.

وقد شهدت قافلة الحج الأحسائي الكثير من الاعتداءات والسلب والنهب على يد قطاع الطرق الذين يتربصون بطريق الحاج منتظرين عبور القافلة عليه لينقضوا عليهم دون رحمة ولاشفقة، وسوف نسرد مجموعة من القصص والمواقف التي تعرضت له قافلة الحج الأحسائي على مدى سنوات عديدة في محله.

الخامسة: أن يرتاد لهم المياه إذا قلت.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^١، فلا يمكن أن تستمر مسيرة الحاج دون الماء، لذا حرص العرب على حفر الآبار على الطرق المطروقة، والتي اعتاد الناس سلوكها، إضافة إلى المنازل والمناطق التي يسكنها الناس على طريق الحاج.

لذا يكون الدليل للحاج على دراية بأماكن هذه الآبار والمسافات التي تفصل بينها، فإذا كانت بعيدة لزم عليها أن يعلم الحاج بضرورة التزود بالمياه والاستعداد بالماء الوفير والكافي إلى حين بلوغ المورد الآخر والتي قد تستغرق عدة أيام، وطرق الأحساء يتخللها بعض الصحاري التي ينعدم في بعضها المنازل والآبار لمدة أربع مراحل، وهي مدة طويلة ما لم يكن الحاج على استعداد لها خاصة إذا كان الحج في موسم الصيف والحر شديد.

السادسة: توفير الحماية والأمن لهم:

البعد الأمني من الأمور التي يعتمد الحاج فيها بشكل كبير على أمير الحاج، وما أحضره معه من استعدادات قتالية وجند لحراسة وحماية القافلة في ذهابها ورجعتها،



لما يتطلبه الأمر من قدرة على الاقتتال، وامتلاك السلاح، الأمر غير مهياً لمعظم الحجاج الذين معظمهم من الكسبة والناس الوادعين.

وطريق الحج الأحسائي يعتبر بعيداً، قد تستغرق الرحلة في قرابة الشهر في بعض الأحيان، ويتم خلالها العبور في أراضي عدد من القبائل العربية التي قامت معيشتها على سلب الحاج وما تفرضه عليهم من ضريبة كبيرة للعبور خلال أرضها.

وفي الدولة الجبرية نظراً للجانب الأمني وأهميته فإن الحراسة المصاحبة لقافلة الحج والتي يصحبها معه أمير الحاج، تبلغ بالآلاف من العسكر والجنود لمجابهة البدو وقطّاع الطرق التي تعترض طريق الحاج، وقد نشبت بينهم معارك طاحنة كانت الغلبة في بعضها للجيش الجبري وفي بعضها لقطّاع الطرق.

وخلال هذه الفترات التي كان اظفر لقطّاع الطرق قتل العشرات من حجاج بيت الله الحرام وسلبت أموالهم وسييت نساءهم في أحداث مأساوية انعدمت فيها الإنسانية وانتزعت الرحمة من القلوب.

السابعة: أن يمنع عنهم من يصدّهم عن المسير:

وهي نقطة مرتبطة بالمعتدين وقطّاع الطرق الذين في الغالب يمنعون الحاج ويصدونهم ما لم يدفعوا مبالغ ضخمة ليتمكنوا من عبور الطريق، وهي من مهمات أمير الحاج أن يتولى معالجة الأمر بحكمة وعقلانية بالطريقة التي يراها مناسبة.

الثامنة: أن يصلح بين المتشاجرين، ويتوسط بين المتنازعين:

من الأمور التي هي من شأن ومختصات أمير الحاج الحفاظ على أن يسود جوّ الألفة والمحبة والسكينة بين الحجاج، ومنع المشاحنات والبغضاء التي قد تنشأ بين جموع الحجيج لما في ذلك من إرباك سير الحج، وهو بعيد كل البعد، عن أهداف الحج التي منها البناء الروحي والسمو النفسي، والتوجّه القلبي نحو الله، وترك التعلق بالدنيا وزخرفها.



وأمر الحاج من أدواره أن يحافظ على إفشاء الجو الروحي في الرحلة الإلهية، ومعالجة المشاكل العالقة نتيجة الاختلافات بين الحجاج والتي ما تحدث عادة نتيجة أمور دنيوية، وإيجاد الحلول المناسبة المبنية على العدل والحكمة.

التاسعة: أن يُقوّم زائغهم، ويُؤدب خائنهم:

أيضاً من الجوانب المهمة المنوطة بأمر الحاج، أن يؤدب من لديه انحرافات سلوكية وأخلاقية، بما يتماشى مع الحكم الشرعي دون أن يكون في ذلك ظلم أو حيف عليه.

العاشر: أن يراعي اتساع الوقت:

على أمير الحاج بحكم خبرته بالطريق وما يحتاجه من وقت للوصول إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، وأن يكون الحجاج في مكة المكرمة قبل يوم التروية (الثامن من شهر ذي الحجة)، على أقل تقدير، ليتمكن من أداء أعمال عمرة التمتع، ثم الخلود للراحة لبعض الوقت من عناء الطريق وأداء العمرة.

وهذا الأمر يتأتى عبر تقدير المسافة والمراحل التي يحتاج إليها الحاج لقطعها، ثم أخذ الحيلة بإضافة بضعة أيام تحسباً للظروف الطارئة غير محسوبة التي قد تعيق وتعرقل مسير الحاج بمختلف أشكالها.

وهنا تأتي خبرة أمير الحاج وإحسانه في تقدير الأمور، خاصة وأن معظم الحجيج في الغالب تكون هذه حاجتهم الأولى، لا يمتلكون أي خبرة أو دراية بأمور الحج وطريقه.

٢- مهام خلال موسم الحج، الأولى: أن يوفر لهم المسكن والمأكل:

مدينة مكة منطقة مترامية الأطراف، ومن يردها يحتاج إلى المأكل المناسب والمكان الذي ينام فيه، وأمير الحاج يفترض قبل كل شيء يوفر للحجاج عند بلوغهم الديار المقدسة المكان والمقعد الذي يستريحون فيه من عناء السفر، ويتم فيه حفظ أمتعتهم

وأغراضهم.



وأمر الحاج بحسب إمكانياته وخبرته، بما استلمه من مبالغ من الحاج فإن أحد أولياته توفير هذه الخدمة لهم، والسعي لراحتهم من خلال من حوله من العاملين ومن لهم خبرة واسعة بمكة ومرافقها المختلفة.

الثانية: الحرص على أدائهم مناسكهم بالشكل الصحيح:

وذلك عبر توفير من يقومون بتعليمهم مناسك الحج من رجال علم يصاحبون الموكب، وذلك ابتداءً من الميقات حيث يتم إحرامهم، ومن ثم أخذهم إلى منى للمبيت يوم التروية، وفي اليوم التاسع إلى عرفة ومنها إلى مزدلفة وفي اليوم العاشر إلى منى حيث يتم رمي جمرة العقبة الكبرى، حتى انتهاء أعمال الحج بوجهها الصحيح.

الثالثة: أن يستمع إلى حوائجهم ومسائلهم:

فبصفته قائد الرحلة وأميرها فإن من واجباته أن يصغي لشكواهم وحوائجهم التي تستجد أمامهم في موسم الحج.

من أمراء الحاج الأحسائي:

من الأمور المتعارفة أن يصحب الحاج في طريقهم إلى الديار المقدسة أمير يتولى إمامة الحج والإشراف عليه، والحج الأحسائي، لم يكن موكبه يختلف عن غيره من الموكب الكبيرة التي تتحرك تحت إشراف أمير يكون عادة إما أمير البلاد أو من ينوب عنه.

وقد سطرنا المصادر عدداً ممن تقلد منصب إمامة الحاج الأحسائي في الفترات المتعاقبة على حكم الأحساء من دول وكيانات نستعرض جانباً منهم، متناولين خلاله بعض العقبات التي تعترض طريق الحاج، إضافةً إلى ما صاحب خلال إمارته من أحداث مفصلية وهامة لها علاقة مباشرة بطريق الحاج الأحسائي، وهذه الشخصيات

كما يلي:



١- الأمير زامل بن حسين بن جبر: (بعد ٨٤٣هـ)

الأمير زامل بن حسين بن جبر، عاش إلى بعد سنة ٨٤٣هـ، وقد قامت دولته على أنقاض الدولة الجروانية بعد انتهاء دولتهم، فأنشأ دولة مترامية الأطراف؛ امتدت إلى سواحل عمان جنوباً، وحتى منطقة الكويت شمالاً، وضمت أيضاً جزر البحرين وامتد نفوذها إلى شرق نجد، وكانت عاصمتهم في الأحساء.

وكان موكب حجه يخرج بأعداد غفيرة من المناطق التي تحت سلطته، إضافة إلى القادمين للحج مع حجاج الأحساء من العراق وإيران، والحراسة المشددة التي تصحب الموكب لحمايته.

٢- الأمير أجود بن زامل: (٨٧٥-٩١١هـ)

الأمير أجود بن زامل بن سيف العقيلي الجبري العامري القيسي، نسبة لجدّه اسمه جبر، ولذا يقال له ولطائفته بنو جبر النجدي الأصل المالكي، مولده ببادية الحسا والقطيف في رمضان سنة إحدى وعشرين وثمانمائة وهو أول من ملك الأحساء من آل جبر في رمضان سنة ٨٢١هـ، ودام حكمه لها حتى آخر المائة العاشرة للهجرة. ويعدّ من أهم رجالات الدولة الجبرية، وقد اتسعت الدولة العقيلية فشملت الأحساء والبحرين وعمان وبلاد نجد، وكان مالكي المذهب.

قامت دولته على أنقاض دولة هرمز التي كانت حاكمة للأحساء والقطيف والبحرين، وذلك في مطلع القرن التاسع الهجري.

وصفه المؤرخ الهندي (نمديهي) في (كنز المعاني) في رسالة إلى الأمير أجود على لسان وزير الدولة البهمنية في الهند قال فيها:

«إلى الشيخ أجود المعروف بابن جبر... بعد حمد الله والصلاة على نبيه، فتشريف التسليبات الطيبات ونفائس التحيات الزكيات، على الملك الأعظم الأكرم الأمير الأفخم الأقدم، مالك البر واليم، حامي العرب والعجم، ومبارز معارك الشجعان،



كرّار المصاف بالسيف والسنان، وأعدل ملوك الأطراف والأقطار، وأشجع ولاة الأزمان والأعصار، مفتخر حجاج بيت الله الحرام»^١.

إلى أن يقول: «قدوة زوّار النبي ﷺ، المخصص بعواطف العلي الصمد، ملك ملوك العرب سلطان أجود»^٢.

إلى أن يختم الرسالة بالدعاء للأمير أجود بقوله: «رب كما وفقته بحماية أهل المدر والوبر، اجعل طول عمره إلى يوم الحشر، بمحمد و حيدر»^٣.

والإشارة جليّة في دور الأمير أجود في حماية حجاج الهند، وتسهيل تنقلهم بين مكة والمدينة، بل لا يبعد أن الأحساء كانت من طرق الحاج الهنود لذا أشار لهذه السمة التي لمسها الحجاج الهنود في مرافقتهم للحج العقيلي المنطلق من الأحساء، كما استفاد منها مكانة الشيخ أجود عندما لقبه «ملك ملوك العرب». توفي سنة ٩٠٢هـ، وخلفه في الحكم ابنه محمد.

٣- الأمير محمد بن أجود الجبري: (بعد سنة ٩٠٢هـ)

الأمير محمد بن أجود بن زامل بن سيف العقيلي الجبري العامري القيسي. تولى الزعامة الجبرية بعد وفاة والده سنة ٩٠٢هـ، لُقِّبَ بسُلطان البحرين والأحساء والقطيف. حيث كان على جانب كبير من القوة وكثره الأتباع فقد ذهب إلى الحج سنة ٩٠٢هـ إلى مكة على رأس جيش كثيف قدر بخمسين ألف رجل^٤.

٤- الأمير مقرن بن زامل الجبري: (٩٢٢-٩٢٨هـ)

الأمير مقرن بن زامل الجبري الخالدي العقيلي العامري الهوازني، هو حاكم

١ . تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٥٠٠-٥٠١.

٢ . م. ن. : ٥٠١.

٣ . م. ن. : ٥٠٤.

٤ . التاريخ السياسي لأمانة الجبور، مصدر سابق: ٧٨.



شرق جزيرة العرب، بما فيها الأحساء والقطيف والبحرين وآخر حاكم الجبور على البحرين، ويعد ثاني أقوى شخصية من حكام الجبور بعد الأمير أجود بن زامل. كان أمير الحاج سنة ٩٢٦هـ، ولعدة سنوات قبلها. قائد خاض معركة مع البرتغاليين سنة ٩٢٧هـ، فوقع أسيراً في المعركة، وقد تمت تصفيته من قبل القائد البرتغالي أنطونيو كورّيا.

٥- الأمير راشد بن مغامس: (كان حياً سنة ٩٤٢هـ)

هو الشيخ راشد ابن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل، أمير دولة آل شبيب، وشيخ المتفق، الذين قامت دولتهم على أنقاض الدولة الجبرية في الأحساء بعد سقوطها سنة ٩٣١هـ، فتولى إمارة الحج سنة ٩٣٣هـ، حيث قام في يوم الأربعاء ٧ ذي الحجة بالوصول إلى مكة، يقول بن فهد:

«وتتابع حاج الشرق وفيهم سلطانهم الجديد، وهو الشيخ راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل سلطان البصرة والحساء والقطيف ورفقته خمسة آلاف نفس على رواحل، وبركوا في الأبطح على عاداتهم، وكانت ولاية سلطانهم للشرق في سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة»^١.

ويتابع بن فهد في حوادث سنة ٩٤٢هـ، في يوم السبت السادس من ذي الحجة ذكر أنه: «وصل لمكة حاج كبير من البحر شاماً ويمناً، وكذا من الشرق ومنهم سلطان البصرة راشد بن مغامس المتفقي بجمع كبير يقال نحو عشرين ألف نفس، وكان دخولهم لمكة في سابع ذي الحجة ونزلوا عند جبل حراء»^٢.

وهذا إشارة واضحة على تولي الأمير راشد زعامة وإمارة الحج طوال عشر سنوات، وذلك بين عامي ٩٣٣-٩٤٢هـ، وكان الموكب يأتي في أعداد غفيرة فقد قال

١ . قوافل الحاج المارة بالعارض، راشد بن محمد عساكر، مصدر سابق: ٨١.



في نصه: بجمع كبير يقال عنه بنحو عشرين ألف نفس».

كما قال: إن نزولهم عند جبل حراء وذلك نتيجة طبيعة لأعدادهم العظيمة أن يتم تجمعهم ومكانهم خارج مكة ليتسع المكان لجموعهم ويحافظوا على جمعهم من الشتات والضياع، توفي بعد سنة ٩٤٢هـ.

٦- الأمير فيروز شاه قطب الدين: (ت ٩٣٩هـ)

هو فيروز شاه قطب الدين بن تهمتم بن جردن شاه بن طغلق بن طبق شاه، أحد أمراء آل مغماس على هُرْمُز والبحرين والأحساء والقطيف، توفي سنة ٩٣٩هـ، بعد أداءه منسك الحج.

وتولى في آخر سنة من حياته إمارة ركب الحجيج منطلقاً من الأحساء إلى الديار المقدسة. ٢.

٧- الأمير مبارك المسعفي: (كان حياً سنة ٩٤٠هـ)

الأمير مبارك بن راشد المسعفي، هكذا ورد نسبه في المصادر التاريخية، تابع إمارة الـ مغماس في الأحساء، ولقب بسلطان الشرق (نجد والأحساء).

كان أميراً للحج الأحسائي سنة ٩٤٠هـ، وكان بصحبة القافلة أفمشة هندية، مما أدى إلى رخص ثمنها، وغيرها من المنتجات في هذه السنة. ٣.

٨- الأمير بكر بن علي باشا: (تولى الحكم حدود ١٠٤٣هـ)

الأمير بكر بن علي باشا بن أحمد لاوند البريكي الأحسائي، ينتمي للدولة العثمانية التي حكمت الأحساء، بخطة محكمة أدت إلى إقالته من قبل الدولة العثمانية وتنصيب ابنه محله سنة ١٠٤٣هـ.

١. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مصدر سابق ٦: ١٧٥.

٢. السنا الباهر بتكميل النور السافر في اخبار القرن العاشر، مصدر سابق: ٢٥١-٢٥٢.

٣. قوافل الحج المارة بالعارض، مصدر سابق: ٧٨.



يقول (الفاخري) عن حج سنة ١٠٤٣ هـ، وهو يصف الأعداد الكبيرة التي جاءت لحج بيت الله الحرام من طريق الأحساء في منطقة (ركبه) فيقول: «ظهر حاج كبير، من الأحساء أميره بكر ابن علي باشا»^١.

حيث تولى إمارة الحج بعد والده، مع استمرار ركب الحاج الأحسائي في كثافته وأعداده الكبيرة، به يحتويه من حجاج مختلف المناطق القادمة من الشرق أو عبر ميناء العقير.

٩- الأمير علي باشا الحساوي: (كان حياً سنة ١٠٩٠ هـ)

تولى إمارة الحاج الأحسائي في العهد العثماني الأول على الأحساء الذي بدأ سنة ٩٥٧ هـ، وكانت إمارته على الحاج سنة ١٠٩٠ هـ، وقد شاركه رحلته للحج على طريق حاج الأحساء، حجاج بلاد فارس التابعون للدولة الصفوية^٢. وهو مختلف عن الأمير علي باشا المتقدم.

١٠- الأمير الشيخ سعدون الخالدي: (١١٠٣-١١٣٥ هـ)

الأمير سعدون بن محمد بن غرير آل حميد الخالدي، ثالث حكام دولة بني خالد (١١٠٣-١١٣٥ هـ)، تولى السلطة بعد وفاة والده محمد بن غرير آل حميد. اتصف بالشجاعة والقوة حيث لقب بسلطان البر، وقد بلغ حكم بني خالد الذروة في عهد هذا الزعيم من حيث الاستقرار والاتساع ليشمل نجداً والمناطق الشمالية إلى الشام إضافة إلى شرق الجزيرة العربية وقد عم في فترة حكمه الطويلة الهدوء النسبي إذ أذعن له القبائل ودفعت له الأموال مقابل سماحه لهم بارتياح المراعي الخاضعة تحت حكمه. يقول ابن لعبون في تاريخه ضمن أحداث سنة ١١١٩ هـ: «نزل الحاج العقيلي على ثادق^٣، ومعه

١. تاريخ ابن لعبون، مصدر سابق: ١٤٨، تاريخ الفاخري، مصدر سابق: ٨٨.

٢. خاطراتي از سفرهای حج از دوره صفوي، مصدر سابق: ١٣٥.

٣. منطقة تقع في الجزء الشمال الغربي من منطقة الرياض.



سعدون بعسكره»^١.

١١- الأمير نجم بن غرير: (كان حياً سنة ١١١٧هـ)

الأمير نجم بن عبيدالله بن غرير بن عثمان بن مسعود بن ربيعة آل حميد من بني خالد، وإلي هذا الأمير تنسب عين النجم بالأحساء، وقد تولى منصب أمير حاج بني خالد عام ١١١٧هـ.^٢

تقلد إمارة الحاج في الموكب الأحسائي في عهد الشيخ سعدون عام ١١١٧هـ وعام ١١٢٠هـ، وقد مرّ في طريق العودة على العينينة، يقول ابن ربيعة في تاريخه:

«كما أنها محطة يمكن الاستراحة فيها والتمون منها، كما حدث عام ١١٢٠هـ، إذ نزلت قافلة الحج الأحسائية العينينة في طريق العودة من مكة، وكانت بقيادة نجم بن عبيدالله بن غرير»^٣.

١٢- الأمير الشيخ عبد الرحمن العفالق: (القرن الثاني عشر)

الشيخ عبد الرحمن بن حسين بن محمد العفالق، من أعلام مدينة المبرز في القرن الثاني عشر، أخذ عليه عددٌ من أعلام عصره، منهم: الشيخ محمد (١١٠٠-١١٦٤هـ)؛ الشيخ منيع بن محمد بن منيع العوسجي النجدي (ت ١١٣٤هـ)^٤، فقد كان أمير الحاج لدولة بني خالد، وذلك في عهد الشيخ سعدون بن محمد الغرير الخالدي (١١٠٣هـ-١١٣٥هـ)، وذلك ضمن رحلة الحج لعام ١١٢٧هـ^٥.

١. تاريخ ابن لعبون، مصدر سابق: ١٤٥.

٢. مجلة الواحة، العدد الستون، السنة السادسة عشرة- شتاء ٢٠١٠م. خالد أحمد المغلوث: عين نجم بالأحساء عمران مكان و سياحة استشفاء: ٦٥.

٣. تاريخ ابن ربيعة، مصدر سابق: ٨٠.

٤. البدر، أحمد بن عبدالمحسن، معجم أعلام الأحساء من الماضين، غير منشور ٣: ٤٣٥.

٥. تاريخ الفاخري، مصدر سابق: ١١٩.



والمصادر لا تذكر تفاصيل إمارته للحجيج وبعض الأحداث المرتبطة بهذه السنة، ولكن الواضح أنّ اختياره بناءً على المكانة الدينية التي نالها وأنه أحد القيادات الدينية في البلاد.

١٣- الأمير محمد بن خالد بن آل غريبي الخالدي:

فقد كان أمير الحاج الأحسائي سنة ١١٣٢ هـ، يقول صاحب كتاب (نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس) المعاصر للدولة الصفوية، وهو يستطرد أحداث سنة ١١٣٢ هـ، وزيارة أمير الحاج الأحسائي السلطان حسين: «فلما كان يوم الجمعة تاسع شهر رجب ورد إلى إصفهان أمير الحاج الأحسائي الشيخ محمد بن خالد آل غريبي، من صوب سعدون شيخ بني خالد، ونزل بمحل لطيف فايع عاطر يسمى (قهوة الناظر) بأعلى حارة (الخاجو)، فأقام عشرة أيام بأصفهان، ثم رحل إلى مدينة قزوین لملازمة السلطان...»^١. إلى أن يقول: «فلما كان ضحى السبت من ثامن شهر شعبان المعظم، عام اثنين وثلاثين ومائة وألف من هجرة النبي المكرم، لازم أمير الحاج المذكور في قزوین السلطان، رفيع المرتبة والشأن، المشهور في الخافقين، واهب الألوף من صنوف الورق والعين، الملك المؤيد الشاه السلطان حسين، لا زال بجوار ربه قريبر العين، صحبة الأمير المكرم ميرزا رحيم الحكيم باشي، أي حكيم الحكماء، والفاضل العلامة، شيخ الإسلام، الملاً محمد حسين ملا باشي، أي عالم العلماء، فأكرمه وأحسن مشواه، وأجزل صلته وأعطاه»^٢.

وهذه الجزئية - رغم أننا سوف نأتي عليها لاحقاً بشيء من التفصيل - إلا أننا سوف نستعرض مجموعة من النقاط الهامة هنا: أولاً: وجود علاقة قوية بين دولة بني

١. المكّي، السيد العباس بن علي بن نور الدين الحسيني الموسوي (ت حدود ١١٨٠ هـ)، نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، وضع المقدمة السيد محمد مهدي الخرسان، منشورات المطبعة الحيدرية: النجف الأشرف، الطبعة الأولى: ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م، ١: ٣١١.

٢. نزهة الجليس، مصدر سابق ١: ٣٢٢.



خالد والدولة الصفوية، أو ما يمكن أن نعبر عنه بتبادل مصالح بينية، والدولة الخالدية تقوم بتوصيل حجاج فارس القادمين عبر ميناء العقير إلى الديار المقدسة وأداء فريضة الحج وزيارة النبي ﷺ، ومن ثم العودة عبر نفس الطريق بعد توفير الحماية المناسبة، وفي المقابل تأخذ دولة بني خالد الدعم المالي المجزي من الدولة الصفوية. ثانياً: إنَّ بني خالد ينظرون إلى هذا الصديق والحليف الجديد بعين الأهمية الكبرى لدرجة أنَّ أمير الحاج الخالدي يذهب بنفسه إلى بلاد فارس ويرافق الحاج الإيراني من قزوین إلى الأحساء ومنها إلى مكة المكرمة، مما يعني أنَّ ترتيبات الحج تكون في فترات مبكرة قد تستغرق عدَّة شهور قبل موسم الحج.

ثالثاً: إن هذه الرحلة من الأحساء إلى بلاد فارس ليست المرة الأولى وإنما ربما هي عادة قد تكون استمرت لعدة سنوات كما سنشير فيما بعد، وربما الاتفاق نفسه يجري مع حجاج الهند وغيرهم، بحيث يتم تأمين الحاج وإيصالهم إلى الحج، ومن ثم إرجاعهم لقاء مقابل مالي، وهذا نوع من سبل الدعم التي كانت تحصل عليها الدولة الخالدية لتأمين احتياجاتها المالية الأخرى.

رابعاً: وجود مراسلات كثيرة بين الدولة الصفوية والدولة الخالدية وطَّدت هذه العلاقة ووسعت من جوانبها ربما شملت إضافة إلى البعد الديني والحج بعض الأمور الاقتصادية والتجارية.

١٤- الأمير سيف بن جبر الخالدي: (ت ١١٣٣هـ)

الأمير سيف بن جبر بن ثقبه بن خالد الخالدي، تولى إمارة الحاج الأحسائي في عهد الشيخ سعدون بن محمد بن غرير سنة ١١٣٣هـ، وقد كانت وفاته في (أبا الجفان)، وهو مورد ماء في جنبي العرمة في إقليم الخرج، في نفس هذه السنة أثناء رجوعهم من البلد الحرام. ففي سنة ١١٣٣هـ خلال شهر صفر مرَّ حاج الأحساء على العارض، وهو تحت قيادة الأمير سيف بن جبر، ولعله مرض أثناء الطريق فمات



في منطقة (أبا الجفان).^١

ومن هذا ندرك طول فترة الحج التي تبدأ مراسمها من الأحساء والاستعدادات لها بعد شهر رمضان المبارك لتنتقل ربما مع بدايات شهر ذي القعدة أو قبل ذلك تحسباً للظروف الطارئة خاصة وأن موسم الحج مرتبط بتاريخ محدد، والعودة في شهر صفر وذلك لأن الحجاج يمشون بعد الحج فترة منتظرين المجاميع المغادرة لمكة بعد الحج مباشرة خاصة التي تبعد مسافات بعيدة، والتي غالباً تتجه إلى المدينة المنورة لزيارة النبي الأكرم ﷺ، وفي المدينة قد تستغرق فترة البقاء إلى قرابة الشهر، ومن ثم تكون رحلة العودة إلى الوطن، ولم تذكر المصادر حجم القافلة التي انطلقت معه، أو معالم الطريق، إلا أن (أبا الجفان)، بالعرمة وهي من المحطات والمراحل التي يسلكها الحجاج في طريقهم إلى الديار المقدسة ذهاباً وإياباً.

١٥- الأمير محمد المحاوي (المحاري) الخالدي (١١٤٢هـ):

عينه أميراً على الحاج الأحسائي أمير الأحساء الشيخ سليمان بن محمد بن عريعر الخالدي سنة ١١٤٢هـ، ويظهر أنه لم يكن بذي خبرة وحنكة ومراس في إدارة الأمور، مما جعله لقمة سائغة لقطاع الطرق من قبيلة مطير. وتسبب في إحداث مجزرة في الحاج قرب منطقة (الحنو)، يقول ابن بشر، عن بعض تفاصيل المجزرة الرهيبة:

«وفيها أقبل حاج كثير من أهل الأحساء والقطيف والبحرين وغيرهم، ومعهم أموال كثيرة فاعترضهم عربان (مطير) فأخذوهم عند (الحنو) وكان يوماً عظيماً، والحاج في الغاية من الأموال والرجال غير أنه خال من التدبير، وأميرهم يقال له: محمد المحاوي، وهم في غاية من السفاهة والنذالة، استعمله فيهم سليمان آل محمد آل مطير رئيس الأحساء لأجل مصالحه ولأنه من جنسه، وكان من الحاج أعيان الأحساء

١ . هكذا ذكر اسمه ابن لعبون في تاريخه: ١٤٩، بينما الفاخري قال في اسمه جبر، ولعله اشتبه أو سقط من الفاخري، لأن ابن لعبون متقدم على الفاخري في التاريخ وأكثر قرباً من الأحداث.



والقطيف والبحرين، وهلك أناس كثير، ونزعت الرحمة من قلوب الأعراب حتى أنه يهلك الهالك ما يسقونه ماءً،^١ وأخذوا الحاج الحساوي للحسوة،^٢ وهي منطقة تقع في جنوب شرق المدينة المنورة.

وفي هذا النص التاريخي مجموعة من المؤشرات المهمة من أبرزها:

إن قافلة الحج الأحسائي الخالدي تضم مجموعة من الحاج من الأحساء والبحرين والقطيف و«غيرهم»، في إشارة لحاج الفرس والهند ممن يأتون مع حاج الأحساء، وربما في بعض الرحلات بعض الحجاج العمانيين قادمين عن طريق البريمي.

تولى قبيلة مطير سلب الحاج عند عبورهم عبر أراضيها في طريق العودة من المدينة، وأنه قد تستخدم بعض القبائل أسلوب التشفي والانتقام لعدم تمكنها من سلبهم في طريق الذهاب إلى الحج حيث تكون مؤونتهم أكبر، وما بقي من الميزانية لديهم هو مقدار ضئيل يكفيهم للعودة فقط.

إن أمير الحاج هو من المناصب الحيويّة، وهو برغم أنه منصب تشريفي فهو في غاية الخطورة والأهمية بمكان، حيث أن أشدّ مسؤولياته ومهامه تشمل التقصي والتحري عن الطرق، وأياها أسلم وآمن للحاج من غيره، وكثير من القوافل تعدّ العدة للعودة من طريق ثم تعدل لغيره نتيجة لتغير الظروف الأمنية وبلوغها خطورة السير من بعض الطرق، ولعل هذا ما أشار إليه ابن بشر في تاريخه، وأن منصب أمير الحاج لا يؤخذ بالقرابة والنسب وإنما ينبغي أن يُعطى بالأهلية والخبرة.

وقد استمر بنو خالد في العناية بطريق الحاج وتسيير قوافل الحجيج طوال عهدهم ولكن المصادر التي تناولت تاريخ الدولة الخالدية أغفلت الكثير من جوانب هذه الرحلات حاولنا خلال السطور الماضية ذكر نماذج من هذا التاريخ الأحسائي خلال

١ . عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق ٢ : ٣٧٢.

٢ . تاريخ ابن لعبون: ١٥٤.



هذه الحقبة الزمنية الهامة.

١٦- سعود بن عبد العزيز آل سعود: (١١٦١-١٢٢٩هـ)

سعود بن عبد العزيز بن محمد آل سعود حاكم نجد وملحقاتها، من الأحساء والقصيم والوشم وجبل شمر امتد ملكه من شواطئ الفرات وبادية الشام، إلى أطراف عُمان واليمن، ومن الخليج [الفارسي] إلى البحر الأحمر.

ذهب إلى الحج لعدة سنوات كان الحاج يرفقه فيها خلال السنوات التي كانت الأحساء خاضعة لحكومته ودولته، لُقّب بعد وفاته سعود الكبير.

فقد كان أميراً لحاج الأحساء خلال السنوات ١٢١٤هـ، و سنة ١٢٢٢هـ، وكذلك سنة ١٢٢٣هـ، و سنة ١٢٢٤هـ، و سنة ١٢٢٥هـ، واستمر في الحج يأخذ معه جميع المناطق التي تحت سلطته، فعن سنة ١٢٢٦هـ.

يقول بن بشر: «حج حجته الثامنة سنة ١٢٢٦هـ، فكان خروجه في موكب مهيب شمل مختلف مناطق دولته كالأحساء وعُمان، ونجد والجنوب والحجاز واليمن،^١ وخلال هذه السنوات كما يظهر أنه يأخذ كسوة الكعبة من الأحساء، كما سنيين ذلك في موضع آخر. إلى أن كانت حجته الأخيرة التي حج معه الركب الأحسائي سنة ١٢٢٧هـ، حيث سقطت دولته على يد محمد علي باشا سنة ١٢٢٨هـ، وكانت كسوة الكعبة من مصر.

١٧- الأمير رجب أفندي البيكباشي: (بعد ١٢٨٨هـ)

الأمير رجب أفندي البيكباشي، تولى إمارة الحج في الركب الذي انطلق من الأحساء سنة ١٢٨٨هـ، وقد رافقه في الرحلة مفتي العسكر داود السعدي المعروف بأفندي البكباشي، الذي قام بتدوين تاريخ الرحلة بكل تفاصيلها، منذ انطلاقها من الأحساء حتى رجوعها، وقد ذكر خلالها العديد من الأحداث التي تمثل نموذجاً عن



معاناة الحجاج أثناء رحلتهم إلى الحج. وقد تمّ الحديث عن هذه الرحلة في موضع آخر، بما اكتنفها من عقبات وصعوبات جعلها من أفضل رحلات الحج الأحسائي الموثقة التي تكشف طبيعة الحج وما يعتوره من أحداث مرهقة، كما ذكر المنازل التي سلكها الحاج وميزة كل منزل عبروا عليه، وفيها ذكر الوقت الذي يستغرقه المسير من الأحساء إلى الديار المقدسة.

الفصل الثاني: الرفادة والأعطيات لأهالي الحرمين الشريفين: الرفادة في اللغة:

رفد: الرشد، بالكسر: العطاء والصلة. والرشد، بالفتح: المصدر. رفته يرفده رفاً: أعطاه، ورفده وأرفده: أعانه، والاسم منها الرشد. وترافدوا: أعان بعضهم بعضاً، والمرشد والمرشد: المعونة؛ وفي الحواشي لابن بري قال دكين:

خير امرئ قد جاء من معده من قبله، أو رافد من بعده

الرافد: هو الذي يلي الملك ويقوم مقامه إذا غاب. والرفادة: شيء كانت قریش تترافد به في الجاهلية، فيخرج كل إنسان ما لا يقدر طاقته فيجمعون من ذلك ما لا عظيم أيام الموسم، فيشترون به للحجاج الجزر والطعام والزبيب للنيذ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام موسم الحج؛ وكانت الرفادة والسقاية لبني هاشم، والسدانة واللواء لبني عبد الدار، وكان أول من قام بالرفادة هاشم بن عبد مناف وسمي هاشماً لهشمه الشريد.^١

الرفادة والأعطيات الأحسائية:

مع بزوغ فجر الإسلام بارك رسول الله ﷺ هذه الخطوة وأيدها فاستمرت عادة ورفادة الحاج والقيام على خدمته، بين رجالات المسلمين، وأصبحت عملاً تشریفياً يتبرك به ببذل الأعطيات لحجاج بيت الله الحرام.



وقد استمر هذا العمل التشريفي في الخلافة الإسلامية، وكانت تتضمن الحلي والمجوهرات والملابس والأطعمة والأشربة، ممن يدخل السرور في نفوس الحاج وسكان الحرمين الشريفين، حتى أصبحت عادة تتميز بها مواكب الحج القادمة من العراق ومصر والشام واليمن وغيرها من مناطق خارج الجزيرة العربية.

وقد ساهم الأحسائيون في تقديم الأعطيات لأهالي الحرمين الشريفين، على نسق باقي المواكب والمحامل العظيمة القادمة من مختلف الأقطار كالعراق والشام ومصر واليمن وغيرها من المواكب الكبيرة التي كانت ترد إلى الديار المقدسة فتوزع العطايا والمساعدات للقاطنين في الحرمين الشريفين أو إلى الحجاج المعوزين القادمين من مختلف البلدان، وهذا عرف درج عليه أمراء وأعيان المواكب الكبيرة لقرون عديدة، وسمة بارزة في المواكب القوية بحيث ينتظر وصولهم الحاج وأهل الحرمين لعلى أحر من الجمر.

والموكب الأحسائي كان أحد تلك المواكب العظيمة والمعروفة والتي ازت في بعض سنواتها المواكب المشهورة من حيث العدد والهيبة.

وقد رسد لنا التاريخ بعض الأعطيات التي كان يقدمها الأحسائيون للحاج. منها ما كان على يدي أمير الحاج، ومنها ما بذله أهل الأحساء، حباً للتقرب إلى الله أولاً، وإسهاماً منهم لخدمة بلاد الحرمين الشريفين.

قال السخاوي في (الضوء اللامع) عن الأمير أجود وهو يشيد بكرمه وعطاياه للحاج، وقد أيده السيد السمهودي كونه أحد المستفيدين من تلك العطايا ويناله منها :

«أكثر من الحج في أتباع كثيرين يبلغن آلافاً مصاحباً للتصدق والبذل وغيرهم. أفاد حاصله السيد السمهودي وبالغ معي في شأنه وهو ممن يكثر البذل له»^١.

٢٠٦ ١ . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مصدر سابق ١ : ١٩٠ .



وحج الأمير أجود بن زامل في سنة ٩٠١هـ، وكانت رحلته من الأحساء إلى مكة المكرمة حيث قام بأداء فريضة الحج، ففي يوم الاثنين ٥ ذي الحجة لعام ٩٠١هـ كان وقت وصوله إلى مكة.

يقول صاحب (بلوغ القرى بأخبار أم القرى): «وفي هذا اليوم دخل أجود بن زامل الجبيري صاحب الحسا والقطيف وغير ذلك، ومعه خلق كثير يقال إنهم أربعة عشر ألفاً أو أكثر، وفرق عاداته على أصحاب الوظائف أظن، وبعض الناس والله أعلم»^١. وهنا إشارة مهمة في قوله وفرق عاداته، في تنويه أن توزيع العطايا كان عادة له وليس حالة استثنائية على قرار مواكب الحج الكبيرة التي تأتي إلى مكة كالركب المصري والعراقي والشامي واليميني.

ويقول: «على أصحاب الوظائف أظن، وبعض الناس»، وهنا يبين مجال التوزيع يكون في اتجاهين: أولاً: أصحاب الوظائف من الأشراف وغيرهم الذين اعتادوا أخذ الهبات والعطايا من أصحاب المواكب. ثانياً: سائر الناس من المجاورين والحجاج المتواجدين في مكة، وهذه هي مجالات الصرف التي اعتاد عليها أصحاب المواكب للحج البارزين. وكانت تنتظر عطاياهم في كل عام، ويتطلع الناس لقدمهم طمعاً في نيل شيء من تلك الهبات التي توزع على أهل الديار المقدسة من الحاج وغيرهم. وتشير بعض المصادر عن أنواع العطايا ومدى نفاستها مما يقدمه أمراء الأحساء وحكامها للحجاج، ففي سنة ٩٢٦هـ حج حاكم الأحساء مقرن بن زامل الجبيري، ويجلب معه العطايا والهبات التي توزع على أعيان مكة وأشرافها والأعيان والفقراء من الحجاج وغيرهم. يقول ابن أبياس في بدائع الدهور: «الأمير مقرن أمير عربان بني جبر، ... وكان مالكي المذهب سيد عربان الشرق على الإطلاق، وكان أتى مكة وحج في العام الماضي، وكان يجلب إلى مكة اللؤلؤ والمعادن الفاخرة من المسك والعنبر



الخام والعود القمارى والحريري الملون، وغير ذلك من الأشياء التحفة، قيل: إنه لما دخل إلى مكة والمدينة تصدق على أهل مكة والمدينة بنحو خمسين ألف دينار^١. وفي هذا إشارة مهمة في تنوع العطايا وشمولها لأهل الدارين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة وتشتمل على العطور والأحجار الثمينة والقماش الفاخر الذي يقدم للأعيان والوجهاء وكبار الشخصيات، كما يعكس هذا الأمر البجوحة المالية التي كانت تعيشها الأحساء خلال القرن العاشر الهجري.

ولم يكن أمر الأعطيات حكراً على ذوي المناصب من الحكم والزعامات السياسية، وإنما أمر شارك فيه التجار والأعيان والوجهاء الأحسائيون بما تسعهم القدرة والاستطاعة، فقد تركت لنا المصادر التاريخية معلومات شحيحة جداً عن هذا النوع من الأعطيات والهبات، واكتفت بالإشارة إلى ما يبذله أمراء الحاج في هذا الصدد. وقد ذكرت لنا تلك المصادر عن خلف بن حمد بن مهيب القحطاني الأحسائي^٢ المعروف بـ: «ملك التجار» (حدود ٧٩٠- بعد ٨٤٥هـ)،^٣ المقيم في الهند، يقول تقي

١. ابن إياس الحنفي، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، مكتبة دار الباز: مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ٥: ٤٣١.

٢. هو خلف بن حسن بن مهيب مبن ناصر بن مُقَدَّم بن القحطاني، ملك التجار القائم بدولة السلطان شهاب الدين أبي المغازي أحمد شاه، مُتَمَلِّك كربلاء، وغيرها من بلاد الهند، ولد حدود سنة ٧٩٠هـ بحصن القرمطي من الأحساء (الواقع بقرية البطالية)، ونشأ بها في كفالة أبيه، وكان من شيوخها، وقد بدأ حياته كتاجر بالهجرة إلى بلاد هرمز على الساحل الفارسي بفرسين جديدين، واشترى معها أربعة، ومنها ذهب إلى الهند واتصل بالفقيه شمس الدين محمد الميموني، الذي شرى الأفراس منه، لتكون بذرة تجارته وسلطته، توفي بالهند في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري. المقريزي. تقي الدين أحمد بن علي (٦٧٧-٨٤٥هـ / ١٣٦٥-١٤٤٢م)، درر العقود المفيدة في تراجم الأعيان المفيدة، حققه وعلق عليه الدكتور محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي: بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ٢: ٥٧.

٣. وذلك لأن المقريزي لم يُشر إلى موته أثناء تأليف الكتاب والذي يظهر أن وفاته كانت بعد وفاة المقريزي.



الدين المقريري (٧٦٦-٨٤٥هـ) عن عطايا خلف:

«وما زال يرسل في كل سنة إلى أشرف بني حسن بمكة، وأشرف بني حسين بالمدينة النبوية بشيء من الميراث، فيقع منهم الموقع الحسن لشدة حاجتهم»^١. وهذا إشارة إلى أن عطاياه كانت متكررة على مدى أعوام، ومرتبطة في الغالب بالأطعمة والمأكولات، كما فيه بيان للقدرة المالية التي كان عليها لتكون عطاياه للأشرف والتي تكون في العادة جزيلة وكبيرة. ولا يبعد أنه كان هناك غيره ولكن المصادر لم تشر، لأن معظم الرصد لتاريخ المنطقة ارتبط بالتاريخ السياسي منها فقط، وشذرات بسيطة عن الوضع الاجتماعي مما فوت علينا الكثير من هذه الجوانب المرتبطة بوضع الحاج على مختلف الأصعدة والجوانب والتي من بينها الهبات والعطايا.

الفصل الثالث: صناعة كسوة الكعبة الشريفة في الأحساء: نبذة تاريخية

اشتهرت مدينة الأحساء منذ مئات السنين بصناعة النسيج، وخياطة المشال (العباء) التي تصدرها لمختلف مناطق الخليج [الفارسي]، وكان الأمراء والزعماء داخل البلاد وخارجها يفضلون البشت الحساوي لما يمتاز به من دقة صنع وجودة حياكة لا يجدها في المناطق الأخرى، وهي صنعة توارثها الأحسائيون جيل بعد جيل، أكسبتهم سمعة وشهرة بارزة جعلتهم يصدرون نتاجهم إلى دول الخليج [الفارسي] كالبحرين والكويت والإمارات وعمان وقطر، وغيرها كالعراق وسوريا.

وكان يختص بهذه المهنة عدد من الأسر الأحسائية عرفت بفنهما وتميزها في هذه الصنعة، تنقلت في أفراد أسرها جيلاً بعد جيل، منهم على سبيل المثال العمار، المهدي، الحرز، الخرس، المحمد صالح، الخاجه، الرمضان، القطان، البوناصر. القضيب، النجار، الخميس، الجعفر، البوزيد، وغيرها من العوائل التي تعود شهرتها



في هذا الفن لمئات السنين، لو استغرقنا في التفاصيل لخرجنا عن الموضوع. هذا الأمر كان الخلفية التاريخية وراء اختيار منطقة الأحساء بالخصوص للتكفل بصناعة كسوة الكعبة، لما يمتاز أهل هذا البلد من فن وذوق رفيع في الخياطة والحياكة ونسج جعلهم محل أعجاب كل من تعامل معهم.

ورغم ما لهذه المنطقة من إسهام في كسوة الكعبة ولو بشكل محدود نجد أن معظم المؤرخين لتاريخ كسوة الكعبة يتغافل عن هذه الجزئية من تاريخ الأحساء ويتجاوزها دون التفصيل والتطرق للدور الأحسائي في هذا الجانب الهام من كسوة الكعبة.

عصور صناعة الكسوة: تشرّفت الأحساء بأن تكون لها حظوة ونصيب وشرافة في نسج كسوة الكعبة المشرفة، وذلك في عدة عصور وحقب سياسية مرّت عليها، نوجزها على النحو التالي:

العصر الأول: الدولة السعودية الأولى:

ففي الدولة السعودية الأولى بعد أن سيطر سعود بن عبد العزيز على مكة المكرمة ١٢٢٠ هـ واستطاع عزل الشريف غالب من إمارتها، منع دخول الحجاج الشاميين والمصريين إلى مكة المكرمة لما كان يراه من دخولهم في مواكب تتضمن الطبول والموسيقى بما يتعارض مع الشريعة الإسلامية، وكانت كسوة الكعبة يحضرونها معهم. وفي هذه الحقبة وصلت الشهرة الأحسائية في صناعة العباءة والنسج الأفاق، فكان الأشراف والأعيان في مكة يرتدون العباءة الأحسائية كنوع من التفاخر واعتراف بما لهذا البلد من فن وإتقان في صناعة العباءة.

فقد كان الشريف غالب بن مساعد (١٢٠٢-١٢٢٨ هـ) حاكم مكة يرتدي الملابس التي يرتديها كبار أهل مكة وعلى رأسه غطاء من الحرير وعليه عباءة صناعة الأحساء^١، لما يمتاز به هذا البلد من جودة وتخصّص في هذه الحرفة والصناعة.

٢١٠ . ١ . إمارة الشريف غالب بن مساعد في مكة ١٢٠٢-١٢٢٨ هـ مصدر سابق: ١٠٦ .



هذه السمعة الطيبة والشهرة الواسعة؛ جعل سعود بن عبدالعزيز يكلف الصانع والمهرة الأحسائيين بصنع كسوة للكعبة المشرفة، وذلك عام ١٢٢١هـ، فقد كسا الكعبة بكسوة أحسائية قيلانية، وصفها لطف الله بن أحمد جحاف اليميني (١١٨٩-١٢٤٣هـ) بالقول: «ولما نزل سعود إلى البيت أمر بأن تُنزع كسوته، وكسا الكعبة عباءة حساوية قيلانية، وهي من أفخر ما عندهم»^١.

ووصف بن البشر الكسوة: «أنها كسيت في الأعوام التالية بالقيلان الأسود الفاخر وجُعل إزارها وكسوة بابها حريراً مطرّزاً بالذهب والفضة، وفي بعض الأحيان تكون كسوة الباب من الحرير الأحمر»^٢.

وبعد دخول محمد علي باشا مكة تحدث عن كسوة الكعبة قائلاً: «بأن العمودين وجدان الكعبة مغطاة من الأعلى حتى ارتفاع خمسة أقدام عن أرضية الكعبة بكسوة من حرير وردي اللون، يتخلله تطريزات فضية»^٣.

ويؤكد الدكتور عبدالله المطوع مصداقية هذه الرواية: «والحقيقة أن هذه الرواية معقولة جداً؛ لأن الأحساء جزء من دولة سعود، بالإضافة إلى أنها مشهورة بالحياكة وصناعة النسيج الجيد، ولهذا فلا يستغرب أن يكرّم بل ويشرف أهالي تلك المنطقة بصناعة كسوة الكعبة المشرفة»^٤.

وفي السنوات التي تلتها من حكم سعود على مكة المكرمة كانت تصنع كسوة

١ . جحاف، لطف الله بن أحمد، درر نحور الحور العين ببصرة الإمام المنصور علي وأعلام دولة الميامين ١١٨٩-١٢٢٤هـ / ١٧٧٥-١٨٠٩م، تحقيق: إبراهيم بن أحمد المقحفي مكتبة الإرشاد: صنعاء، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ: ٧٥٣.

٢ . عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق ١: ٢٩٥.

٣ . إدارة مكة المكرمة في عهد الدولة السعودية الأولى: د. عبدالله بن محمد المطوع، مجلة الدارة، العدد الأول المحرم ١٤٢٩هـ، السنة الرابعة والثلاثون: ٩٧.

٤ . مجلة الدارة، العدد الأول المحرم ١٤٢٩هـ، مصدر سابق: ٩٦.



الكعبة في الأحساء، وترسل إلى الحجاز لما وجد في التجربة الأولى من نجاح باهر وتميز، في الوقت الذي لم تكن أي منطقة من التي خاضعة للأمير سعود تمتلك هذه الموهبة والشهرة في الحياكة والخياطة للقيام بهذه المهمة العظيمة والشرف الكبير في الصنع خلال حكم سعود الكبير على الحجاز من سنة ١٢٢١هـ، إلى عام ١٢٢٧هـ، والتي انتهت بسيطرة محمد علي باشا عليها سنة ١٢٢٨هـ.

ففي هذه الحقبة توقفت مصر عن إرسال كسوة الكعبة المشرفة مدة سبع سنوات حتى تستقر الأمور على أرض الحجاز، ولم ترسل للكعبة المشرفة كسوة من مصر سوى في شوال ١٢٢٨هـ.^١

مكان صنع الكسوة:

للمرة الأولى نسجت كسوة الكعبة بالأحساء سنة ١٢٢١هـ، في بيت أحد أبناء عائلة الشمس، وبالتحديد في منزل عيسى بن شمس بمدينة المبرز، في شارع الحاكة في فريق (حي) المجابل، وكان ذلك في وقت اشتهرت فيه عدة عوائل بحي المجابل بالمبرز بعمل نسج وخياطة المشالح، كعائلة السيفي، والبوعريش، والقديحي، والذي لا نستبعد أن يكون لهم مساهمة ومشاركة في نسج الكسوة الشريفة، إضافة لبعض النسّاج من مدينة الهفوف.

مكان صناعة الكسوة للكعبة المشرفة في مدينة المبرز بالأحساء، بوابة البيت الذي كانت تصنع بداخله كسوة الكعبة المشرفة أنقاض البيت في الوقت الحالي بعد قرار إزالته لكونه آيلاً للسقوط في السنة الثانية عام ١٢٢٢هـ، انتقلت صناعة الكسوة إلى مدينة الهفوف وبالتحديد في منزل الشيخ أحمد بن عمر الملا (ت ١٢٤٠هـ)، الواقع في حي الكوت بفريق (حي) الرويضة، وذلك لأن منزله واسع، على مساحة ألف متر

١ . حلمي، إبراهيم، كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج، كتاب اليوم يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم: القاهرة، د. ت: العدد: ٣٢٠: ٥٩.



مربع، وكان ذلك بإشراف عبدالله بن إبراهيم السقوفي، وبعد الفراغ منها أرسلت إلى مكة عن طريق العقير إلى ميناء جدة، خشية عليها من قطاع الطرق المتربصين في زوايا الطريق وبين تلاعه.^١

والجدير بالإشارة أن حي الكوت هو مركز الحياكة وصناعة العباء في الأحساء في تلك الحقبة حيث برزت مجموعة كبيرة من الأسر كانت مصنوعاتهم ومنسوجاتهم من العباء والمشالح تصدر إلى مختلف أصقاع الجزيرة، وهم سبب شهرتها الكبيرة، من أمثال: البوزيد، أبو ناصر، الجعفر، الحرز، الخرس، الخميس، الخواجه، رمضان، العمار، القضيبي، القطان، المحمد صالح، المهدي، النجار، وغيرها.

ونتيجة للإتقان والجودة استمرت صناعة الكسوة في الأحساء إلى آخر عهد الدولة السعودية الأولى، منتقلاً نسجها بين مدينة المبرز والهفوف.

العصر الثاني: عهد الملك عبد العزيز آل سعود: نبذة تاريخية:

لن نتوغل كثيراً في تاريخ صناعة كسوة الكعبة عبر التاريخ كي لا يخرجنا عن إطار بحثنا، ولكن نشير إلى بدايات العقد الرابع من القرن الخامس عشر الهجري، حيث تشير المصادر إلى أن كسوة الكعبة منذ سنة ١٢٢٩هـ، إلى سنة ١٣٤٠هـ، أي ما يقارب (١١) سنة كانت تأتي من مصر ثم أوقفت مصر إرسالها في سنة ١٣٤١هـ، فكساها الشريف حسين بالكسوة التي بعثت بها الدولة العثمانية منذ سنة ١٣٣٣هـ، وذلك بسبب التوتر الذي نشأ بين الشريف حسين والملك فؤاد الأول، ثم قامت مصر بإرسال كسوة الكعبة سنة ١٣٤٢هـ، مرة أخرى.

إلا أنها عادت في سنة ١٣٤٣هـ إلى انقطاعها من جديد بسبب دخول الملك

١ . لقاء منتشر في وسائل التواصل مع الدكتور عبد الإله الملا، حول مكان صنع كسوة الكعبة في الأحساء.



عبدالعزیز آل سعود الحجاز والاستیلاء علیها سنة ١٣٤٣هـ،^١ حیث كساها الملك فی هذه السنة بكسوة من صنع الأحساء.^٢

كسوة الكعبة سنة ١٣٤٣هـ فی المصادر التاريخية:

كسیت الكعبة فی صباح یوم عید الأضحى من عام ١٣٤٣هـ، بكسوة جدیدة من صنع الأحساء،^٣ وقد بلغ عدد الحجاج تلك السنة مائة ألف من داخل نجد وملحقاتها، وما یقارب من السبعة آلاف حاج من خارج الدیار العربية.

وقد نشر ذلك فی جريدة أم القرى الصادرة من مكة فی حینه فی عددها الأول: «أن الملك عبد العزیز، وعندما كان فی الحجاز لم تأت كما هو معتاد. عندها أمر جلالته بعمل الكسوة الشریفة بالأحساء،^٤ وبالفعل تمَّ نسجها وتطريزها علی أكمل وجه وأرسلت من الأحساء لمكة المكرمة فی حینه ووضعت علی الكعبة المشرفة صبیحة یوم عید الأضحى المبارك عام ١٣٤٣ هجرية ١٩٢٥ م».^٥

وقد أشار الشیخ محمد طاهر كردي فی كتابه «التاریخ القویم لمكة وبيت الله الكریم»، نقلاً عن تاریخ الغازی قائلاً: «إنَّ كسوة الكعبة سنة ١٣٤٣هـ، كانت من

١ . مؤذن، أعداد الطالب عبد العزیز عبد الرحمن، كسوة الكعبة وطرزها الفنية منذ العصر العثماني، إشراف الأستاذ الدكتور محمد ریاض العتر، رسالة مقدمة لنیل درجة الماجستير فی قسم الحضارة والنظم الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة ١٤٠١-١٤٠٢هـ، غیر منشورة: ٢٨٦.

٢ . كسوة الكعبة وطرزها الفنية منذ العصر العثماني، الهامش: ٢٨٦.

٣ . الغازی، عبد الله المكی الحنفي، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله لحرام مع تعلیقة المسمى بإتمام الكلام، دراسة وتحقیق: ا. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهیش، مكتبة الأسدی للنشر والتوزیع: مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ٥: ٧٣.

٤ . التاریخ القویم لمكة وبيت الله الكریم، مصدر سابق ٣: ٥٦٩.

٥ . جريدة أم القرى، العدد ٢٩ بتاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٣٤٣هـ، فی صفحة: (حوادث محلية).



صنع الأحساء بأمر من الملك عبد العزيز»^١.

وإليك أخيراً نص الخبر تحت عنوان: (كسوة الكعبة المشرفة): «فاتنا نذكر في الجزء الماضي من الجريدة خبر الكسوة الجديدة التي وضعت على الكعبة المشرفة صباح يوم عيد الأضحى، وقد تأخر مجيء الكسوة التي تأتي من الديار المصرية فاستعوض عنها بكسوة من صنع الأحساء في الديار النجدية»^٢.

ومن هذا الكلام كله نخرج بعدة أمور من أهمها:

إن أول كسوة للكعبة كانت بعد دخول مكة المكرمة تحت الحكم السعودي، صنعت على يد النساجين الأحسائيين، وذلك سنة ١٣٤٣ هـ.

إن الكسوة للكعبة المشرفة كانت «مكسوة كسوة فاخرة»؛ كما يقول أحمد عبد الغفور، مما أدهش الحجاج المصريين وحكومتهم، أي لم تكن تقل مستوى عن الصناعة المصرية، إن لم تكن تفوقها، وهذا يؤكد عدم صحة القول إن الملك عبد العزيز وضع للكعبة الشريفة كسوة سنة ١٣٣٣ هـ، وإلا لكان المصريون تعرّفوا عليها أنها من صنعهم، بل ستكون بدل الإعجاب، محل سخرية وتهكم أن الملك لم يستطع إحضار كسوة جديدة للكعبة المشرفة.

شهرة الأحساء الكبيرة في الحياكة ونسج الخيوط وفن التطريز ساهم في وقوع اختيار الملك عبد العزيز عليها لصنع ونسج الكسوة التي تعد من أعظم المهام تشریفاً، كما أنه يشكل تحدياً أمام الأحسائيين بنتاج عمل يتوافق مع مستوى وجودة كسوة الكعبة خلال الأعوام الماضية المصنوعة من أبرع المهرة المتمرسين، بحيث لا يلحظ الحاج ومرتاد بيت الله الحرام اختلافاً في المستوى والإتقان.

١ . الكعبة المشرفة وكسوتها، محمد بن سعد الشويعر، جريدة الجزيرة: الجمعة ١٥ شوال، ١٤٢٠ العدد ٩٩٧٦.

٢ . جريدة أم القرى بعددها ٢٩ بتاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٣٤٣ هـ، في صفحة: (حوادث محلية).



مكان صنع الكسوة في الأحساء:

وهي من المسائل التي شغلت الأحسائيين والباحثين بحثاً وتقيباً وتفاحراً لعظم الأمر وأهميته، لذا سنحاول هنا الاستفادة مما نشر وتناقله الأحسائيون حول مكان صنع الكسوة سواء خلال الدولة السعودية الأولى أو الثالثة، والأسر العاملة في هذه المهمة الجليلة والعظيمة.

كان محلّ الصنع في منزل في حي المجابل بمدينة المبرز في منزل الأسره آل موسى، والذي يؤسف له أننا لم نعرف أسماء المشاركين في صنع الكسوة.

إضافةً إلى قرية الجرن القابعة في شمال الأحساء الشهيرة بالصناعات الخوصية والمداد، حيث ساهم رجالها ونساؤها في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في أول عهده في صناعة المداد (الحصر) للحرم المكي وقد استمر ذلك لعدة سنوات.

* * *

الباب الرابع: إطلالة على التاريخ الأحسائي في الحجاز ...

الفصل الأول: مراسلات الحج بين الدولة الصفوية وبني خالد بين عامي (١١١٧-١١٩٥هـ)

جرت مراسلات عديدة بين بعض الزعماء في بلاد فارس المختلفة وحاكم الأحساء، وذلك في القرن الثاني عشر الهجري.

منها ما كان من دولة بني خالد في عهد الشيخ سعدون بن محمد بن غرير الذي استمر حكمه بين عامي (١١٠٣-١١٣٥هـ)، وكذلك وزيره الشيخ ناصر الأحسائي، وامتدت المراسلات إلى سنة ١١٩٥هـ، وذلك في عهد الأمير سعدون بن عريعر الخالدي بغرض طلب الاهتمام بالحجاج الإيرانيين القادمين إلى الحج عن طريق الأحساء...

...ومما يجدر ذكره أن هذه الرسائل تبين الموقعية الاستراتيجية لمنطقة الأحساء،



توضّح ما تشكّله من أهمية لحجاج فارس، والمناطق القريبة منها، وسوف نتناولها من خلال العناوين التالية: عصر المراسلات: كانت المراسلات خلال وجود الحكومتين الدولة الصفوية في فارس (٩٠٧-١١٤٨هـ)، وبالتحديد في حكم حسين الأول بن عباس الثاني (١١٠٥-١١٣٥هـ)، ودولة بني خالد في الأحساء (١٠٨٠-١٢١٠هـ)، في الحقبة التي حكم فيها الأحساء الشيخ سعود بن عريعر، أي بين عامي (١١٠٣-١١٣٥هـ)، وهذه الحقبة بالتحديد قريبة من سنة ١١٢٠هـ، الفترة التي كان خلالها الشيخ ناصر الدين البويهي، وزيراً لابن عريعر، كما يقرّر ذلك الرحالة مرتضى بن علوان في رحلته إلى الأحساء، حين زارها خلال ذلك التاريخ، فقد قال: «ويذكروا (كذا) إن نصف أهلها شيعة، ونصفها سنة، ومتّحدين اتحاد الأهل من غير عناد، وكذلك قراها، وكافلها وواليها وحاميها يقال له الشيخ سعدون من عرب خالد، ووزيره شيعي يقال له الشيخ ناصر، وأنه من أولاد مروان ابن الحكم كما أخبرنا، واجتمعنا ببعض أهل البلد من الفريقين، وكل منهما راض عن الآخر».

وقد مكث في الأحساء خمسة وعشرين يوماً، من عام ١١٢٠هـ، مما يجعل هذا التاريخ هو أقرب احتمال للمراسلات، ويقوي هذا الاحتمال أنّ وفاة الشيخ محمد مسيح الكاشاني - وهو أحد أطراف أغلب المراسلات - كانت حوالى سنة ١١٢١هـ. والشيء اللافت في هذه المراسلات أن يكون طريق الحاج الإيراني عبر الأحساء، في حين كان درب زبيدة المعروف بطريق الحاج من الكوفة إلى مكة أقرب وأسهل، خاصة المقاديين عن طريق البر^١ الذين يكون طريقهم عبر العراق، ومنها إلى الديار

١ . طريق الأحساء هو أقرب وأسهل الطرق بين إيران والحجاز؛ أذ أن المسافرين بين إيران والحجاز يتعين أن يقطع أراضي العراق بكاملها قبل أن يدخل صحراء الجزيرة العربية، بأبطأ وسيلة نقل في ذلك الزمن وهي الحمار، حيث لم يكن الجمل مستخدماً في النقل في تلك الأصقاع، بينما يستخدم المسافرون من إيران إلى الحجاز طريق البحر إلى ميناء أو القطيف، أو الجمعية، ثم يستقلون الجمل، يضاف إلى ذلك أن العراق كان تحت الحكم العثماني، والعلاقة بين العثمانيين والصفويين متوترة كما هو معروف.



المقدسة في طريق متكامل الخدمات، ويعبره الحاج عبر العصور؛ مما يوحي بوجود مانع جعل الحاج في العصر الصفوي يستبدل ذلك الطريق بطريق الأحساء، ومنها إلى مكة المكرمة تحت حماية ورعاية حاكم بني خالد حينها الشيخ سعدون بن عريعر الخاليد، ونائبه الشيخ ناصر الدين الأحساني.

ولكي تتضح الصورة والحركة السياسيّة التي كانت تعيشها الدولة الصفوية في هذه الحقبة الزمنية بالذات ينبغي أن نشير إلى عدّة أمور من أبرزها:

إنّ السلطان حسين، آخر حكام الدولة الصفوية (١١٠٥-١١٣٨هـ)، والذي صعد عرش الدولة الصفوية بعد وفاة والده الشاه سليمان الذي وافته المنية في الخامس من شهر ذي الحجة سنة ١١٠٥هـ، وصل الحكم والدولة كانت تعاني من ضعف وترهل داخلي وخارجي، نتيجة للصراعات والحروب التي كانت تعاني منها الدولة على عدة جهات، منها الجانب الأفغاني الذي كان ينشد الاستقلال عن الدولة الضعيفة التي كان حكامها مشغولين بالملذات والملهيات، ناهيك عن القدرة السياسية في إدارة الأمور، فأخذوا يغيرون على المناطق الخاضعة للنفوذ الصفوي، ويقتلون ويسلبون، منها الذي حدث سنة ١١٠٨هـ في يزد عندما أغاروا عليها وأسروا منها ٨٠٠ شخص من سكانها، ولعل أول مؤشرات الخطر الأفغاني عندما قام ميرويس الأفغاني بقتل حاكم قندهار سنة ١٢٢١هـ، والسيطرة على المدينة^١.

ومن الجهة الأخرى الدولة العثمانية التي كانت تضيق على الدولة الصفوية وتتصيد الفرص لإسقاطها رغم انشغالها سياسياً وعسكرياً بالعدو الروسي الذي كان يعيش معها حالة اقتتال. وكانت تسيطر على معظم العراق، وقد بسطت نفوذها فيه، وأخذت تضيق على الحجاج الإيرانيين وتمنعهم من العبور داخل الأراضي الخاضعة

١ . الموسوي، إعداد عباس حسن (كمال السيد)، نشوء وسقوط الدولة الصفوية، مكتبة فندك: قم،



لنفوذها وسيطرتها، إما بمنعهم من العبور أو عبر الهجمات المنظمة التي تشكل حالة قلق لدى الحاج الإيراني الذي كان يتخذ معبر زبيدة الذي هو طريق الحاج الشهير من الكوفة إلى مكة المكرمة، وتجعله يتجنب هذا الطريق قدر المستطاع.

في الوقت الذي كانت تعاني الدولة العثمانية من انهيار داخلي، مما أثر في معظم الولايات الدولة وخاصة الأقاليم النائية كالأحساء، وزاد من ذلك مقاومة القبائل العربية للولاء والمتصرفين العثمانيين في الأحساء، وهذا السبب هو الذي مهد لنفوذ بني خالد لأخذ الأحسا من يد الدولة العثمانية، وذلك في عصر السلطان محمد الرابع^١. ورغم ذلك حرص الخوالد على حفظ العلاقة الودية التي يشوبها الحذر مع الدولة العثمانية بعدم الإساءة لرجالات الدولة العثمانية في المناطق المسيطر عليها وإنما بإرسالهم سالمين إلى العراق، وهذا كان يتوافق مع مصلحة الدولة العثمانية التي لم تكن تريد فتح جبهة صراع جديدة لها في الخارج في الوقت الراهن على الأقل؛ إذ كان همها الأعظم أن تبقى الأحساء بعيدة عن أيدي القوى البريطانية.

في هذه الحقبة كان وجود الخوالد يعتبر كما يقول (الوزيناني): «خط الدفاع الشرقي عن مكة والمدينة وكان الخليج الشمالي خاضعاً آنذاك في مناطق الشمالية لشيوخه ورؤسائه المواليين أيضاً للدولة العثمانية، وهذا واضح مما كان يفعله بنو خالد الذين كانوا يقومون بحماية حجاج العراق إلى الأراضي المقدسة للحج وحمائيتهم من القبائل التي تقوم بقطع الطريق عليها، كقبائل الظفير وغيرها من القبائل الأخرى التي كانت تغير عليها، ففي سنة ١١٠٠ هـ، قامت قبائل الظفير والفضول بقطع الطريق على حجاج العراق بقرب التنومة؛ لهذا كان قيام حكام بني خالد بالغزوة تلو الغزوة لتأديب هؤلاء القبائل التي تتعرض لقوافل حجاج الدولة العثمانية من العراق، وحماية

١ . الوزيناني، إعداد الدكتور خلف بن دبلان بن خضر، الأحساء في القرن الثاني عشر الهجري، دار

القاهرة: القاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠٠٧م: ١٠٨.



قوافل الحج آنذاك يشكل مظهراً هاماً من مظاهر وجود الدولة العثمانية وحماتها لشبه الجزيرة العربية»^١.

وهذا لم يكن يجري من بني خالد دون مقابل وفوائد مادية تعود عليهم، الأمر الذي استفاد منها الصفويون في تسيير قوافلهم للحجيج بحماية بني الخالد الذين كان لهم صيت واسع في هذا المجال.

كما عانى الحاج الإيراني والهندي القادم عبر البحرين على حدٍ سواء بعد سيطرت الخوارج في عُمان، بعد شن عدّة هجمات على جزيرة أوال وإحداث مجازر كبيرة فيها كالتي حدثت في جزيرة النبيه صالح وغيرها، إضافة إلى قطع طريق الحاج القادم عبر تلك الأراضي^٢.

في ظلّ هذه الظروف الصعبة أصبح الخيار الأحسائي قوياً، خاصة أنها تعيش حالة استقرار سياسي نسبي في ظلّ حكومة الخوالد الباسطين نفوذهم في المنطقة، وكانت لهم دراية بطريق الحاج القادمين من تلك الأنحاء وحماتها.

علماً بأنّ طريق حاج الأحساء كان يسلكه الحجّاج الإيرانيون قبل ذلك التاريخ بعدة قرون، خصوصاً سكان الساحل الفارسي منهم، والقرييين منها ما ذكره صاحب (الفوائد الرضوية)، في ترجمة (علي بن الحسن بن علي بن محمد الرح العامل مانصه: «قال أخوه الشيخ أحمد في (الدرالمسلوك):

«وفي سنة سبع وثمانين وألف أخذت الأعراب حجاج العجم، في طريق الحسا بعد ما حجوا، وفقد منهم خلق كثير، وكان فيمن فقد أخي الأصغر الشيخ علي وسلم أخي الأكبر الشيخ محمد، وكان قد مضى على طريق البحرين ومعه ابن ملا خليل القزويني الأخباري وجماعة، ونظم قصيدة مطلعها: «ركبنا ممتون البحر في لجة

١ . الأحساء في القرن الثاني عشر الهجري، الوزيناني، مصدر سابق: ١٠٩.

٢ . نشوء وسقوط الدولة الصفوية، مصدر سابق: ٢٦٤-٢٦٥.



الأسرى، الأبيات»^١.

وقد استمر ذلك الطريق محل استحسان لدى الحجاج الأعاجم خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجري، فقد كتب على نسخة من كتاب (في آداب السفر والحج) للسيد محمد باقر بن محمد تقي... لناسخ مجهول، على الغلاف الأول من المخطوط هذا التعليق الذي يعود لسنة ١٢٤٩ هـ:

«بسم الله الرحمن الرحيم. ليعلم أن هذا المنسك قد اشتريناه من الأعراب الذين نهجوا حجاج العجم طريق مكة على طريق الأحساء والمطلب التخلص منه حتى لا يخفى. سنة التاسعة والأربعين بعد الألف والمائتين»^٢.

مما يقودنا إلى الجزم بأن الأحساء كانت تشكّل رابطة هامة للحجاج الإيراني، وطريقاً أساسياً يسلكه الحجاج العجم، لما تمتع به من أهمية قصوى، وقدرة على تأمين الحاج عن غيره من الطرق الأخرى، وما هذه المراسلات إلا نتيجة دراية وخبرة قدم خلالها الحجاج من مناطق مختلفة من بلاد فارس، منهم من بندر بوشهر، وآخرون من خراسان، المشهد الرضوي، والحجاج الإيرانيون الذين وصلوا إلى البصرة، ولعل بعضهم من إصفهان أو غيرها من مناطق النفوذ الصفوي في تلك الفترة.

هذه الرحلات لم تكن تأتي إلى الأحساء عن طريق البر لما يتخلل هذا الطريق من مخاطر ومشاكل مع بعض البداءة الذين يستغلون الحجاج من أجل النهب والسلب، وإنما تسلك الطريق البحري من الجهة الساحلية المطلية على الخليج [الفارسي] إلى ميناء العقير التابع للأحساء، ومنه إلى الديار المقدسة بالحجاز تحت الحماية الخالدية.

١. القمي، الشيخ عباس، الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية، تحقيق: ناصر باقري بيدهندي، نشر دفتر التبليغات الإسلامي، الحوزة العلمية: قم، الطبعة الأولى، ١٣٨٧ هـ، ش، ٢: ٢٦٢.

٢. فهرس مخطوطات الروضة الحسينية في كربلاء، سليمان هادي آل طعمة، مجلة الذخائر، العدد العاشر، ربيع ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م: ٢٠٣.



مشاكل الحاج الإيراني:

كان هذا الطريق خياراً جيداً نظراً لتمييزه، وتوفيره عدة أمور تشكّل نقطة هامة للحاجّ الفارسي، يمكن تلخيصها في التالي:

معرفة الطريق إلى الديار المقدسة:

إنّ معرفة الطريق المؤدي إلى المناطق المقدسة يتطلب خبرة بالمنطقة وبطرقها الوعرة من السالكة، الأمانة من الخطورة، وهو الأمر الذي كانت تفتقر لها حملة الحج الإيرانية؛ لكونها في أرض غير أرضها، ناهيك عن حاجز اللغة الذي يكون عائقاً في التواصل مع سكان المناطق التي يمرّ عبرها الطريق.

وقد كانت إدارة الحج الأحسائي المتمثل في دولة بني خالد حينها تمتلك تلك الدراية والخبرة الطويلة بالطرق وأنواعها، ومميزات كل منها؛ لذا يكون من المجازفة والمخاطرة عدم الاستعانة بهم، فذلك قد يعرض الحاج للضياع.

إكرام الحجيج وتوفير سبل الراحة لهم:

وهو من المطالب التي أكذت عليها المراسلات التي وردت بين الطرفين، فقد ورد في الرسالة السادسة: «فرخصوا حاجي البيت العتيق وأذنوا في الناس بالحجّ من تلك الطريق، فالطريقة الأنيقة الوفاء بما وعدتكم في أمر حجاج بيت الله الحرام، ورعاية ما عاهدتم في عابري سبيله الأحقاء بوظائف الإعزاز والإكرام، فإنّ الكريم إذا وعد وفي». وهو أمر ضروري، لما يتخلّل الطريق من مشاق ووعورة، لم يعتدها الحاج الإيراني الذي لم يألف التضاريس الوعرة والجافة التي هي من مميزات الطبيعة في الجزيرة العربية.

توفير الحماية والأمن للحجاج:

يمرّ طريق الحج الأحسائي في وسط الجزيرة العربية على عدد من الأعراب والبداءة منهم الصالح الذي يكرم الحاج، ويقدم له الخدمات، ويعتبر ذلك شرفاً له،



ومنهم السارق الذي يستغل عبورهم ليفرض عليهم الاتاوات، أو نهب ما لديهم من غنائم، وقد تصل إلى الاعتداء والقتل. الأمر الذي سبب إيذاء نفسياً وخوفاً للحجاج الآمنين، وجعل من الأمور الملحة توفير رجال الأمن المدججين بالسلاح المستعدين لأي اعتداء قد يعترض طريق القافلة، وقد أشارت لذلك المراسلات الآتية.

من ذلك ما نجد في الرسالة الثانية بالقول: «أن لا يألو جهداً في كف أذى الأعراب الطغاة، وفك حبال كيد يكاد يكيد به سائر المردة العتاة».

وفي الرسالة الثالثة: «حُسن المعاشرة مع الحاج، وصونهم عما كاد يعترضهم في السبيل [و] الفجاج، وتوصية الأمير والعسكر، بإتيانهم زيارة سيد البشر، عليه وآله سلام الله الأكبر».

بُعد الطريق عن نطاق سيطرة العثمانيين:

من العوامل المهمة التي كان ينظر إليها الصنفيون في طريق الحاج أن يكون بعيداً عن سيطرة الدولة العثمانية التي كانت منافساً قوياً لهم، وحيث أن الطريق البري في معظمه إما خاضعٌ لزعماء ورؤساء تابعين للسلطان العثماني، أو محفوف بالمخاطر الجمة في صحراء قاحلة، غير مأمون الجانب من اللصوص وقطاع الطرق في منطقة يعتبرون هم أصحاب النفوذ والسيطرة فيها، فكان الخيار البحري إلى ميناء العقير، ومنه تحت حماية الخوَالد إلى بلاد الحجاز من الخيارات الممتازة، والمأمونة، وإن كان لا يبعد أن الخيار البري كان حضراً حينها، لكثرة الحجاج القادمين من إيران، وسيطرة قبيلة بني خالد على معظم الطريق المؤدي من البصرة إلى الأحساء، وكان يرافق الرحلة في بعض الرحلات حجاج من العراق، لتكون الرحلة في قافلة واحدة تشق طريقها نحو الأحساء لتكون طريقاً لهم إلى الديار المقدسة.

أمراء الحج: أمير الحاج، مصطلح تاريخي كان يستخدم منذ العصر الإسلامي الأول، ويعني أن يعين الحاكم (أميراً للحاج) يتولى قيادة الحاج والقيام على شؤونهم،



فكان هناك أمير الحاج العراقي، وأمير الحاج الشامي، وأمير الحاج المصري، وأمير الحاج اليميني، وتشير المصادر إلى اهتمام الحجاج بأمر الحاج ضمن الوفود المتحركة إلى الديار المقدسة، وكان يتم اختياره من أعيان البلاد وكبرائها المعتمدين والموثوقين لديها. والذي نفهمه من المصادر حول أمراء الحاج في هذه الحقبة في العصر الصفوي ودور الأحسائيين في أن ركب الحجّ الإيراني يسير ضمن أميرين واحد لركب الحجّ الإيراني، وآخر لركب الحجّ الأحسايني، وقد يصحبهم في بعض الحالات ركب الحجّ العراقي، المختار من والي بغداد، يقول صاحب كتاب (نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس) المعاصر للدولة الصفوية، وهو يستطرد أحداث سنة ١١٣٢ هـ، وزيارة أمير الحاج الأحسايني السلطان حسين: «فلما كان يوم الجمعة تاسع شهر رجب ورد إلى إصفهان أمير الحاج الحسايني الشيخ محمد بن خالد آل غرير، من صوب سعودن شيخ بني خالد، ونزل بمحل لطيف فايع عاطر يسمى (فهوة الناظر) بأعلى حارة الخاجو، فأقام عشرة أيام بإصفهان، ثم رحل إلى مدينة قزوين لملازمة السلطان...»^١.

إلى أن يقول: «فلما كان ضحى السبت من ثامن شهر شعبان المعظم، عام اثنين وثلاثين ومائة وألف من هجرة النبي المكرم، لازم أمير الحاج المذكور في قزوین السلطان رفيع المرتبة والشأن، المشهور في الخافقين، واهب الألوف من صنوف الورق والعين، الملك المؤيد الشاه السلطان حسين، لزال بجوار ربه قير العين، صحبة الأمير المكرم ميرزا رحيم الحكيم باشي، أي حكيم الحكماء، والفاضل العلامة، شيخ الإسلام، الملا محمد حسين ملا باشي، أي عالم العلماء، فأكرمه وأحسن مثواه، وأجزل صلته وعطاه»^٢. ومن خلال النصّ يتضح أنه كانت هناك زيارات من بني خالد إلى السلطان

١. نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، مصدر سابق ١: ٣١١.

٢. م. ن. ١: ٣٢٢.



حسين رأس الدولة الصفوية، وأن عناية الخوالد بالحاج الإيراني تبدأ من بلاد فارس إلى الأحساء، ومنها إلى مكة المكرمة ثم المدينة المنورة، إلى رجوع الحاج إلى ديارهم سالمين، كما كانت الدولة الصفوية تعتني بأمير الحاج الأحسائي، وتسعى إلى راحته وكسب وده ورضاه.

إن الحجاج القادمين من بلاد فارس من أنحاء الدولة الصفوية المختلفة، سواء من قزوین أو إصفهان أو أرض خراسان (مشهد الرضا عليه السلام)، أو غيرها.

إن هذه العلاقة استمرت لسنوات طويلة أقلها بين سنة ١١٢٠-١١٩٥ هـ، التي كان فيها الشيخ ناصر الدين بن بهاء الدين الخطي وزيراً ومستشاراً للشيخ سعدون، واستمرت إلى سنة ١١٣٥ هـ، آخر أيام الشيخ سعدون، كما لا يبعد استمرارها إلى بعد هذا التاريخ.

طريق الدعوة للحج:

لكل بلد عاداتها وتقاليدھا في دعوة الناس للحج، وإعلامهم بأن موسم الحج قد أقبل، فمن أراد الالتحاق بالقافلة عليه الاستعداد لذلك، ويتضمن هذا العرض التشويق وإثارة المشاعر الدينية لدى الناس لحثهم وتشجيعهم بالتوجه للحج، وهي تعدّ جزءاً من التراث والموروث، والفلكلور الشعبي، وهنا يطالعنا السيد عباس المكي، أثناء وجوده في إصفهان في هذه الفترة التي هي محل دراستنا عن مشاهداته، عن الآلية التي كانت تستخدمها الدولة الصفوية لإعلام الناس بدخول موسم الذهاب لأداء فريضة الحج فيقول:

«فلما كان خامس وعشرون من شهر شعبان المعظم عام ألف ومائة واحد وثلاثين من هجرة النبي المكرم صلى الله عليه وآله، وصل إلينا في إصفهان من قزوین أمير الحاج السيد مصطفى، من صوب باشا بغداد حسن باشا، وفي سادس وعشرين من الشهر المذكور، دارت ناقة الحج بإصفهان، وكيفية ذلك بأنهم يشدون المحامل ويسمونها



الكجاوات على ظهور الجمال، ويركبون فوقها الأطفال، وكلهم لابسون الإحرام، ورافعون صوتهم بالتلبية لربّ الأنام، يحثون الناس لحجّ البيت الحرام، فيحصل الشوق للحج، ويرع الناس من كلّ فج، ويركب ذلك اليوم الأمير ويطوف في البلاد موكب كبير، فمن اشتاق لزيارة رسول الله ﷺ وحج بيته،^١...^٢. يستعد ويبادر للانضمام إليهم.

ولعلّ نفس الريقة تحدث في عدد من المدن، يجتمع بعدها الحاج من المناطق المختلفة ليسيروا في موكب موحد يضم جميع الحاج.

وقت انطلاق الحاج:

من خلال ما سبق من إشارات لقدم أمير الحاج الأحسائي الشيخ محمد بن خالد آل غرير في شهر شعبان سنة ١١٣٢ هـ، وقدام السيد مصطفى أمير الحاج العراقي من بغداد لمرافقة الحجيج من إيران من السنة التي قبلها ١١٣١ هـ، يتضح أن الحركة للحج في بلاد فارس تبدأ من نهاية شهر شعبان أو بداية شهر رمضان. نظراً لبعده الطريق، وتحسباً لما يتخلله من مشاق ومشاكل قد تكون غير متوقعة، وضمان الوصول قبل موسم الحج إلى الديار المقدسة.

نصوص الرسائل:

يبلغ عدد الرسائل التي استطعنا الحصول عليها (١١) رسالة ذكرها الشيخ حسين الواصل في كتابه (ذخائر الحرمين الشريفين)، مرسله من المسؤولين في الدولة الصفوية إلى الشيخ سعدون الخالدي، والشيخ ناصر الدين الأحسائي، وقد كتبت بلغة أدبية راقية، تنم عن مكنة لغوية عالية، إلا أنه يمكن ملاحظة عدّة أمور عليها:

١ . يظهر وجود سقط في النسخة المعتمدة؛ لأن الكلام بعندها غير مترابط، ومقطوع.

٢ . نزهة المجلس ومنية الأديب الأنيس، مصدر سابق، ١: ٢٥٨-٢٥٩.



إنَّ الشيء الذي يؤسف له أنَّ الرسائل غير تفاعلية من طرف واحد فقط مما أفقدها جانباً مهماً عن معرفة الدور الأحسائي في طريق الحاج، وما يقدمه من خدمات؛ إذ المتوقع أنَّ الرسائل المفقودة تتضمن عرض الخدمات التي كان يعمل عليها الطرف الأحسائي لخدمة الحاج، من توفير سبل الراحة والأمن والأمان لبلوغ الحاج الإيراني إلى الديار المقدسة إلى حين رجوعه، فكانت الرسائل الأخرى معظمها تقدم الثناء الجليل والمدح الجليل مقابل ذلك، وهذا بلا شك أفقد جزءاً مهماً من التاريخ الأحسائي.

افتقرت الرسائل إلى الأسماء والشخصيات الذين شملتهم رحلة الحج أو بعض الأحداث التي وقعت في الطريق، إضافة إلى خلوها من ذكر أي جوانب تفصيلية تكشف عن طبيعة الخدمات ومقدار المنجز منها، مما يجعل الرسائل سطحية رغم أهميتها. وقائمةً على المجاملات في معظمها ومرتكزة على جانب الصياغة الأدبية دون التوغل في عمق العلاقة التي كانت بين الطرفين، مما جعل مجال الاستفادة منها محدوداً، قياساً لكمية الرسائل المتبادلة بينهما.

كما افتقرت الرسائل في معظمها إلى التاريخ، والبعض الآخر إلى أسماء الأشخاص المرسلين كعبارة: «من أحد رجال الدولة الصفوية» كما في الرسالة الثالثة، أو «أحد رجال الدولة الصفوية، الذي كان في بندر بوشهر»، كما في الرسالة التاسعة، أو لشخصية غير معروفة كالمرزا محمد حسين الحسيني أمير العساكر الإيرانيين في البصرة، كما في الرسالة العاشرة، مما قلل من مقدار الاستفادة من الرسائل.

الرسالة الأولى: من: المولى محمد مسيح الكاشاني^١. إلى: الشيخ سعدون بن محمد

١. محمد مسيح الكاشاني: المولى محمد مسيح الكاشاني الشهير بـ: «مولا مسيحا»، تلميذ المحقق آقاسين الخونساري، المتوفى حوالي (١١٢١هـ)، قام بترجمة كتاب الشيخ المفيد (الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد) من العربي إلى الفارسية باسم شاه سليمان الصفوي. راجع: الطهراني، الأغابزرگ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء: بيروت، الطبعة الثالثة:



بن غرير الخالدي^١.

المحتوى: الإخوانية، وإعلام بأن حُجَّاج إيران يتخذون البصرة طريقاً إلى مكة المعظمة في تلك السنة، وإيضاء^٢ الشيخ سعدون بخدمة الحجاج وحراستهم، فله في ذلك خير الدنيا والعُقبى.

نص الرسالة: ٣

إنَّ أولى ما يليق بِصِدْقِ الولاء بعد السلام وهو الدعاء الذي يتفرَّع على شجرته النامية ثمرةً الفوزِ بِعظيمِ المرام، أي تمهيل بقاء المولى الجليل الكريم، الحريّ بكل ما يُتحرى للأجلة من التبجيل والتكريم، المحمودة شيمه، الوكّافة الحري بكل ما يتحرى للأجلة من التبجيل والتكريم، المحمودة شيمه، الوكّافة على الكافة ديمه، الزائد على ابن زائدة،^٤ المشهور بالسّخاء في معنى البرِّ والامتنان، السابق معطيّ عطائه في طيّ مضمار الكرم جواد جود الطائي^٥، المعروف بفضل المعروف والإحسان، الذي تنسقت

١ . سعدون بن محمد بن غرير آل حميد الخالدي ثالث حكام دولة بني خالد (١١٠٣-١١٣٥هـ)، تولى بعد وفاة والده محمد بن غرير آل حميد واتصف بالشجاعة والقوة، حيث لقب بسلطان البر، وقد بلغ حكم بني خالد الذروة في عهد هذا الزعيم من حيث الاستقرار والاتساع ليشمل نجداً والمناطق الشمالية إلى الشام إضافة إلى شرق الجزيرة العربية، وقد عم - في فترة حكمه الطويلة - الهدوء النسبي؛ إذ أذعن له القبائل، ودفعت له الأموال مقابل سماحه بارتياح المراعي الخاضعة تحت حكمه. راجع: موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية.

٢ . إيضاء: أي توصيته.

٣ . ذخائر الحرمين الشريفين، الواثقي، الشيخ حسين، ذخائر الحرمين الشريفين، المكاتبات المكية، مطبعة اعتماد: قم: الطبعة الأولى: ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، ٧: ١٩٥.

٤ . معن بن زائدة: أمير العرب أبو الوليد الشيباني، من أكرم وأجود الناس. كان من أمراء متولي العراقيين يزيد بن عمر بن هبيرة، فلما تملك بنو العباس جدّ المنصور في طلبه، وجعل لمن يحمّله إليه مالا، قتل غيلة سنة ٧٦٨م. موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية.

٥ . حاتم الطائي شاعر عربي جاهلي (توفي ٤٦هـ / ٦٠٥م) اشتهر بكرمه وأشعاره وجوده، حتى



أضواء نجوم سعوده، وتدفت أنواء غيوم جوده، باسل بطل لدى شجاعته بطولة كل بطل كامل. وبطل بسل عند جرأته دعوى البسالة من كل باسل فاضل، كعبة الشرف والشامة، نجد المجد والعز والكرامة، قطب فلك سو المكان، بدر سماء السعادة الشيخ سعدون - زاده الله تعالى بسطة وحشمة، ومن عليه بكل منة ونعمة.

وبد نشر صحيفة الدعاء، وبسط بساط شوق اللقاء، فلا يخفى على مرآة ذلك الضمير المنير، أن في فتح طريق البصرة،^١ يفتح لكم أبواب النصر، وتستفيدون بذلك فوائد غزيرة، ولكم فيها منافع كثيرة، وقد رخص من ذلك السبيل، وفد حجاج بيت الله الحرام، ورهط المعتمرين المتمتعين بإدراك المشاعر العظام، أذن لهم في هذه السنة، أجر من أحسن إليهم أجر من جاء بالحسنة.

وقد خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، جمع كثير وجم غفير راجياً (أملاً). خ.ل) للظفر بمأموه، ولقد حاولوا بسرعة الحركة، عوائد الاستباق إلى الخير والبركة، فبادروا إليها عجالاً. ونفروا خفافاً وثقالاً، فينبغي لكم الخروج عن عهدة العهود والمواثيق المؤكدة بغلائظ الأيمان، والدخول بذلك في زمرة الذين سارعوا إلى مغفرة من ربهم ورضوان، بأن تحرموا للسعي في سبيل الله على وجه يليق، وتحرسوا سالكيه الآتين رجالاً، وعلى كل ضامر من كل فج عميق، لئلا يصيروا طعمة لكل ذئب مفترس، ونهبة لكل لص مختلس، فلا يستطيعون لهم نصراً، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، فليكن اعتناؤكم بذلك جميلاً، والاهتمام بما فيه صلاح أحوالكم ونجاح آمالكم ضامناً وكفياً، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^٢

أصبح مضرب المثل في الجود والكرم، سكن وقومه في بلاد الجبلين (أجا وسلمي) التي تسمى الآن منطقة حائل شمال السعودية. موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية.

١. هو يشير بذلك إلى إمكانية الوصول إلى البصرة بعد خروجها لفترة من الزمن من سيطرة الدولة العثمانية الموجودة في بغداد.

٢. سورة المائدة: الآية ٢.



وأطيعوا الله تعالى في الجهر والنجوى، وكيف لا يتنافس في كشف الضرّ عن الأحياب، مع ما في تنفيس الكرب من نفائس الأجر والثواب،....
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرسالة الثانية: من: المولى محمد مسيح الكاشاني، صهر الفقيه الآقا حسين الخوانساري. إلى: الشيخ سعدون الأحسائي.

المحتوى: جواب عن كتاب للشيخ سعدون والإخوانية، والمعاهدة لحراسة الحجاج الإيرانيين الذين اتخذوا طريقهم إلى الحج من الأحساء، وإيصال الشيخ سعدون برعاية الحجيج، فإن تم ذلك ستكون الأحساء طريق الحجاج الإيرانيين إلى مكة المعظمة في المستقبل.

التاريخ: غير محدد، لكن حكمة الشيخ سعدون على الأحساء كانت سنة ١١٢٠هـ مما يجتمل أن تكون الرسالة في هذه السنة.

نص الرسالة:

بعد حمد الله ربّ البيت الحرام، والصلاة على النبي الأمي التهامي خير من ركن إلى الركن وأقام الصلاة خلف المقام، وآله الغر الكرام أئمة الأنام، الذين لا يتم حج الإسلام من دون الوقوف بعرفة معرفتهم، ولا يتأتى إقامة صلاة المحبة للرسول إلا بتكبير شأنهم وتسليم مكانهم، الذي هو من جملة الأبواب لمسجد طاعه الله باب السلام.

فالداعي إلى فتح أبواب الكلام بمفاتيح الأقلام، هو تبليغ المرام إلى جناب المولى الجليل النبيل المُعترف بفضله العميم كلُّ قاصٍّ و دانٍ، والمُعترف من بحر كفه الواكف الكريم توكّف،^١ الامثال والاقتران، ذي الدرّ... تُستقى من رواء،^٢ صلاته البادية وزلال هباته المتكثّرة غير الممنونة سواقي عيون الإحسان وجبابه، وتحتسي من

١ . توكف: التوقع. توكف تسيل. لسان العرب.

٢ . الماء العذب، لسان العرب.



أحسائِ أُنديته الخافية وكرار أعطيته المتكررة المكنونة تلاجُ الأحساء وهضابه، بحر الندى والفضل الذي لا يُدرِك ساحله، وبر البر والطول الذي لا يقطع مراحلَه، سابق فرسان البسالة والشهامة، فارس مضمار النبالة والكرامة، الغني عن التعريف، الجامع لأحاسن محاسن التوصيف، باسط بساط الأمن والأمان، مولانا الأجل الأكرم الشيخ سعدان،^١ أيد الله تعالى بقاءه بالتأييد، وكثر له بني خالد النعم الجسمام، وساعده في جميع الأحوال بمساعد الجدِّ السعيد، وحمّاه من طوارق الليالي والأيام.

أمّا أولاً، فإعلام دعاء بلغ الغاية وخفقت في مظان الدجاجة أعلامه، وأنها شوق جاوز النهاية وتبدّي من خافق الوجد والصّباة غرامه.

وأما ثانياً، فإظهار المسرّة البالغة، والبهجة السابغة، بورود كتابه الكريم الذي احتوى على ما يجب رعايته من أمر وفد الحاج الآتين من الفجاج، مشتتلاً على استدعاء وفودهم من ذلك المنهاج، ومتضمّناً لشرائط؛ منها أن لا يألُو جهداً في كفّ أذى الأعراب الطّغاة، وفكّ حبائل كيدٍ يكادُ يكيده سائر المردة العتاة.^٢

ولما حصل الوثوق بميثاقه المرصوص أساسه، وكَمَل الاعتماد على شرطه اللاّمع بنور الوفاء نبرأسه، عرضنا هذه المراتب على مقر اللطنة الباهرة العُظمى،^٣ ومستقر الدولة القاهرة الكبرى، لا زال معفراً لجباه السلاطين، ومثلماً لشافه الخواقين،^٤ وتعهدنا من جانبه الإيفاء بالعهود، واشترطنا من طرفه الوفاء بما التزمه من الشرط المعهود،

١ . الصحيح سعدون بن غرير بني خالد العروف.

٢ . وهو إشارة لما يتكبده الشيخ سعدون في مقاومة قطع الطرق من البداية الذين يستغلون موسم الحج للاعتداء على وفود الحج ونهبهم.

٣ . يقصد هنا مدينة إصفهان التي كانت مركز الدولة الصفوية.

٤ . الخاقان: لقب لكل ملك من ملوك الترك. والجمع: خواقين، وقيل: خاقان: لقب من ألقاب السلطان، وهو لقب مغولي في الأصل. راجع: المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مصدر



ولذلك قرن المأمول بالحصول، واقرن المسؤول بحسن القبول، فيجب عليكم الخروج من عهدة هذه الضمان، والدخول في زمرة الموفين بعهدهم عند الإخوان.

فما دُتمم مداومين على الوفاء بالشروط المزبورة، مساعدين لامي تلك النسك المبرورة، يدوم الأمر المطاع بذلك، يُؤم ذلك السبيل فيسلك دون غيره من المناهج والمسالك، ويكون مشرب الإشفاق عليك صافياً، وقسط التوجه إليكم من جهة الوفاء بما عاهدتم عليه وافياً، وينساق وفد الحاج كل عام إلى ذلك البلد ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ﴾^١، ويجبى إليه ثمرات كل شيء فيرزق أهله منها وهم في ناعم العيش يتنعمون، ويكون أبواب الخصب والرّخاء على قاطني تلك البلاد مفتوحة، وبنعم لساكنيها البأل عن الجذب والسنين مدى الدهر مندوحة.^٢

هذا مع ما يستحب بل يجب من ترك التواني في إسعاف الحجيج وإكرامهم، وعدم طي الكشح عن رعاية جانبهم والسعي في إنجاح مرامهم فإن إكرام أضياف الله خيرٌ سجية وشيمة، ولا يبلغ ذروة فضله العالي من فضائل الكرائم، لا زال جبل ولاء الأعباء ممدوداً سالماً عن الانقسام، وبأب حوادث الزمان على الأصدقاء مسدوداً ما طرز عباء سواد الليالي بطراز بياض الأيام.

الرسالة الثالثة: من: أحد رجال الدولة الصفوية.^٣ إلى: الشيخ سعدون والي الأحساء. المحتوى: وصول كتاب الشيخ سعدون، موافقة الحكومة الإيرانية على طلب الشيخ سعدون بإرسال قوافل الحجاج من طريق الأحساء إلى الحج، إيحاء الشيخ سعدون بحسن المعاشرة مع الحجاج، وبذل الخدمة لهم. توصية الأمير والعسكر

١. الأنبياء: ٩٦.

٢. إشارة لوجود عطايا ومنح تبذل مقابل ما يقوم به الشيخ سعدون من خدمات لحجاج بيت الله الحرام عند توفير الأمن وسبل الراحة لهم.

٣. ذخائر الحرمين الشريفين، مصدر سابق، ٧: ٢٠٢.



أن يمرروا القوافل من المدينة المنورة ليزور الحجاج ضريح سيد البشر ﷺ. التاريخ:
حوالي سنة ١١٢٠ هـ. المصدر: المخطوطة المرقمة ١٨٣٩٣ في مكتبة مجلس الشورى
الإسلامي، ص ٤.

نص الرسالة:

التسليمات الزاكيات التي تنشأ من حشاشة الفؤاد، والتحيات الناميات التي تهبُّ
شميمها من مصر الموّدة والاتحاد، تخص بها الشيخ الأجل، والمقام الأمثل، ذو العز
الأثيل، والمجد الأصيل، شرف الأروم والقبائل، وسلالة الأماجد والأماثل، شمس
الساحة من سماء جبهته طالعة، وبدر النجابه من فلك نجدته ساطعة، ينهدم إركان
الصّفوف إذا ركب، ويُقعد قائمة السُّيوف إذا ضرب، لو وزن البحر المحيط بكفّه
ميزان الاعتبار لكان كفّه ميزان الاعتبار، ولكان كفّه راجحاً، أو قيس السحاب الماطر
بجوده، ونواله، لكان السحاب لِقَطْرِ الخجل سائحاً.

وبعد، فلقد وصل إلينا كتابكم السامي، وخطابكم النامي، ولقد عرضنا كل ما
صدرتموه فيه،^١ علي،^٢ ...، وقلنا: إنَّ الشيخ كلامه وذمامه ذمام، وتعهدنا ثانياً من قبلكم،
وصار حسن سلوككم في العام الغابر سبباً لمزيد رغبة الأكاير والأصاغر، وعلينا بلبزوم
الطريقة الغراء، وتعاهد المحجة البيضاء أعني حُسن المعاشرة مع الحاج، وصونهم عمّا كاد
يعترضهم في السُّبيل [و] الفجاج، وتوصية الأمير والعسكر،^٣ بإتيانهم زيارة سيد البشر،^٤

١ . إشارة لوجود مطالب لدى الشيخ سعدون مقابل الخدمات التي يقدمها للحجاج الإيرانيين،
وهي بلا شك لو ذكرت لكشفت أمور هامة.

٢ . يوجد سقط في المخطوط، والظاهر أن السقط هو اسم السلطان في إيران آنذاك.

٣ . إشارة إلى أن موكب الحج الإيراني يذهب إلى الحج مع ما يقرره الشيخ سعدون يرافقهم أمير
ومجموعة من العسكر من أجل توفير الحماية لهم.

٤ . بأخذهم إلى المدينة بعد أداء مراسم الحج، فقد ورد في الحديث: «من حج البيت ولم يزرني فقد

جفاني»، راجع: بحار الأنوار، مصدر سابق ٩٩ : ٣٧٢.



عليه وآله سلام الله الأكبر، وعدم الزيادة عليهم عمّا قرّر وسطر. وكلما سئح لكم من أمر في هذه البلاد فعليكم الإعلام وعلينا الإتمام، وعليكم من الله العلام سلام.

الرسالة الرابعة: من: المولى محمد مسيح الكاشاني،^١ إلى: الشيخ ناصر الدين الأحسائي،^٢ وكان وزيراً لوالي الأحساء الشيخ سعدون.

المحتوى: الإخوانية، وجواب عن كتاب الشيخ ناصر الدين الأحسائي.

التاريخ: حدود سنة ١١٢٠هـ، حيث كان مشتغلاً بالوزارة كما ذكر ذلك السيد مرتضى بن علوان الدمشقي في رحلته المكية.

المصدر: المجموعة المرقمة ٨٣ في مكتبة حجة الإسلام الكلبايگاني بگلبايگان بإيران، الصفحات: ١٣٩ - ١٤٢.

- المجموعة المرقمة ١٦٣٩ في مكتبة آية الله السيد المرعشي النجفي بقم.

١. من ذخائر الحرمين الشريفين، مصدر سابق، ٧: ٢٠٤.

٢. الشيخ ناصر بن بهاء الدين الخطي الأحسائي، كان حياً سنة ١١٢٠هـ، من بيت علم. فوالده الشيخ بهاء الدين من الأعلام، عاش في القطيف، ثم عين وزيراً للشيخ سعدون حاكم الأحساء وأمير بني خالد، ذكره ابن علوان الدمشقي في رحلته إلى الأحساء سنة ١١٢٠هـ، فقال فيه: «ويذكروا أن نصف أهلها شيعة ونصفها سنة ومتحدين اتحاد الأهل من غير عناد، وكذلك قراها وكافلها والبيها وحاميتها يقال له الشيخ سعدون من عرب خالد ووزيره شيعي يقال له الشيخ ناصر. وأنه من أولاد مروان ابن الحكم، كما أخبرنا واجتمعنا ببعض أهل البلد من الفريقين وكل منهما راض عن الآخر»، ووصف في العديد من الرسائل الواردة بالعلم والفضل، والمنزلة العلمية العالية، منها: (والشيخ الجليل الحريّ بكلّ تبجيل وتكريم، السيّد العالم الهمام البعيد الهمة، المجلوب بأنوار علومه ظلّات الجهالات المدلّمة، ذي المكارم والفضائل، قدوة أنوار المعارف وأضوائها، ومصباحها المنير لصباحها ومسائها). راجع: رحلة مرتضى بن علوان إلى الأماكن المقدسة والأحساء والكويت والعراق، تحقيق و تعليق: أ. د. سعيد بن عمر آل عمر، مكتبة المتنبك الدمام، الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ: ٦٧. العويناتي، الشيخ عبد الزهراء، وزير دولة آل حميدان الخالدين الشيخ ناصر بن بهاء الدين الخطي، تموز: دمشق الطبعة الأولى: ١٤٣٩هـ -



نص الرسالة:

إنَّ أبهى ما يرقم في صكوك الصدور. من الغرر التي تباهي درر النحور، وأبهر ما ينظم في سلوك السطور، من فرائد الفوائد التي تباهر اللآلي البحور، تحيات رُقمت بطراز الوداد برودها، وتسليمات نُظمت بأنامل الاتحاد عقودها، يليها الشناء الذي يلي الوفاء بعهود الولاء، ويتلوها الدعاء الذي يُتلى على ألسن الداعين لدى ذكر الأحباء، بأن يدوم وجود جناب المولى الكريم، والشيخ الجليل الحريّ بكلّ تبجيل وتكريم، السيّد العالم الهمام البعيد الهمة، المجلو بأنوار علومه ظلّمت الجهالات المدهمة، ذي المكارم والفضائل، قُدوة الأكارم والأمثال، جامع شَمَل الفنون العلمية، قاطف ثمرات الأعمال من أصول العلوم الدينية،^١ مشكاة أنوار المعارف وأضوائها، ومصباحها المنير لصباحها ومسائها، الذي تحلى بحلية الكرم والإحسان، وتزيّن بزينة كلّ خليفة من الخلائق الحسان، واحتوى على محامد ذوي الأنساب والأحساب، وانتهى في محاسن الآداب إلى مرتبة قصرت عن الوصول إلى تقريرها يد الإطناب، كهف الحاجّ والمُعتمدين، مولانا الشيخ ناصر الدين، أعلى الله تعالى بناء معاليه، وأعزه في دولة كريمة يُعزُّ بها الفضلُ وأهاليه.

وبعد طيِّ مراحل الاشتياق الذي قبل الوصول إلى غايته يكبُّ جواد القلم في ميدان بيانه، ويسطِّ بساط الوفاق الذي دون البلوغ إلى نهايته يصدأ صارم اليراع إذا تصدَّى لقطع طريق شرحه وتبينه، فالكشوفُ على ضميره المنير أنه قد ورد في أشرف الساعات، وأكرم الأوقات، كتابه الكريم، وخطابه الوسيم، فابتسمت بوصوله أزهار حدائق الارتباط، وانفتحت بوروده وُرود رياض المسرة والانبساط. لا أدري

١. وهو إشارة واضحة إلى أن الشيخ ناصر الدين الأحسائي، إضافة إلى منصبه السياسي كوزير للشيخ سعدون الخالدي، هو من رجال العلم الأعلام الذين لهم مكانة دينية مرموقة، ويمتلك في قلمه لغة أدبية وعلمية راقية، جعلته محل الشناء والإعجاب، وإن كان الكلام هنا لا يخلو من مبالغة.



كيف أصفُ جزالة ذلك الكتاب الذي قد انفرَد في بابهِ، وليت شعري بأيِّ براعةٍ أرقمُ براعة ذلك الرقيم الذي هو كهفٌ لأصحاب الإرب وأربابه، لا يتأتى من جواد القلم أن يأتي بمثله الذي هو بعيد المنال، ولما كان الغرض مُنحصراً في إبلاغ التسليّيات المُستطابة، وتبليغ الدعوات البالغة كعبة الإجابة، ختمت رسالة الكلام، بخاتمة الدعاء والسلام، قائلاً: لا زالت حاضرة لديكم أسباب التوفيق وأدواته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرسالة الخامسة: من: المولى محمد مسيح الكاشاني. إلى: الشيخ ناصر الدين الأحسائي الذي كان وزيراً لوالي الأحساء الشيخ سعدون.

المحتوى: جواب عن كتاب الشيخ ناصر الدين. التاريخ: يرجع تاريخها إلى حوالي سنة ١١٢٠هـ، السنة التي كان فيها وزيراً للشيخ سعدون، كما ذكر ذلك مرتضى ابن علوان الدمشقي في رحلته إلى الأحساء. المصدر: المجموعة المخطوطة المرقمة ١١٦٣٩ في مكتبة آية الله المرعشي. المجموعة المحفوظة برقم ٩٦٠٩ في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي بطهران، الورقة ٨٧ حدوداً.

نص الرسالة:

حبذا من مُطوفات أقلام جناب المولى العالم الفاضل البارِع الذي تُقف بالبراعة سِهام الفضل وقِداحِه، وأدار على مُشربِيي ذلك المشرب الهنييء كؤُسه وأقداحه، محدّدِ جهات مكارم الأخلاق، مُجدّدِ آثار المآثر والمحامد على الإطلاق، فرع دوحه المجد الباهر، والشرف الناصر، مُخدومنا الماجد الشريف الشيخ ناصر نصره الله تعالى بفضله وكرمه، وفتح عليه أبواب أياديه ونعمه.

إذ أُلقت إلينا من وكر الولاء القديم بيضة أنيقة من كتابه الكريم، فانفلقت كالصبح الصّادق عن نهارِ صدق الوداد، وكشفت بما أنتجت من ظهورِ سلامة تلك الذات الكريمة ذات مكارم الصّفات، عمّا أقرّ العينَ وسرّ سرة الفؤاد، فساعده الله تعالى بكلِّ



سعادة، ومنّ علينا بطول بقائه الذي هو أحلى من الحياة المعادة، ثمّ المكشوف،^١ ...
الرسالة السادسة: من: المولى محمد مسيح الكاشاني. إلى: الشيخ ناصر الدين
الأحسائي.

المحتوى: جواب عن كتاب الشيخ ناصر الدين، الذي طلب من سلطان إيران
أن يتخذ حجاج إيران طريقهم إلى الحج من الأحساء، فوافق السلطان على ذلك،
مع إيصاله بوفاء العهد بالحفاظ على سلامة الحجاج ورعايتهم في الطريق. المصدر:
المجموعة المرقمة ١١٦٣٩ في مكتبة آية الله السيد المرعشي. المجموعة المحفوظة برقم
٩٦٠٩ في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، ورقة ٩٨.

نص الرسالة:

المسؤول من مجيب الدعاء، الخالي عن شوائب الرّياء الحرّيّ بالاجابة، الوصل
سهمه المارق عن جنية عرض المرام إلى غرض الإصابة، أن يُديم بقاء حضرة المولى
الكريم، الخلق لدى الخليفة بلوازم التعظيم والتكريم، المعروف بالعلم والعرفان،
الموصوف بالجود والإحسان، قُطب سماء الفضل والشّهامة، مركز دائرة العزّ
والكرامة، قدوة الأكارم يقتدي به كلُّ غمّر الرداء في صلاة الصّلات، وأسوة ذوي
المكارم يُقلده كلُّ من اجتهد من سالك مسالك العطاء في سبيل الخيرات، هف الحاج
والمعتمرين، مولانا الأعز الأكرم الشيخ ناصر الدين حمى الله تعالى حماه، ووقاه من
كلّ سوءٍ وحماه، إذ منّ على الدّاعي لبقاء الأحباب، الرّاجي لخيرهم وصلاحهم في كلّ
باب، بإرسال كتاب كريمٍ شهدت بفضل براعته بوارع الأرقام، ونطقت بسبق يراعته
نواطق الأقلام، وكشفت حسان فقراته عن ظهور حُسن الإخاء، وتفتقت كيام ألفاظه
وعباراته عن زهور المحبة والولاء، فحرّك شوقاً لا يزال في البال بل في سائر الجسد
تزيّده، وبعث توقاً لا ينفك عن الخلد كثيرة وزائده، فلا زال بيتٌ وجوده المبني على

١ . باقي نص الرسالة مفقود في المصدر.



تحري الخير في كلب باب معموراً، وسعيه الجميل المبتدأ من صفاء الطوية في طيِّ طريق الثواب مشكوراً.

وبعد إهداء هدي الدعاء البالغ كعبة الإجابة، فالنتهى إلى ذلك الجناب الذي تنتهي إليه مآثر النجابة، أن وردة عريضته المرسله إلى مقرّ الخلافة الكبرى، ومستقر الملكة العظمى، في استدعاء رخصة الحجيج من طريق الأحساء، قد فتحت في حديقه حضور أولياء الدولة القاهرة، وعرضت بأسرها على أركان السلطنة الباهرة، ولما فاح من طيِّ أرقامها ريباً في عرض المراد، وفاح من مسك ختامها أريج صدق الولاء وخلوص الاعتقاد، تلقوها بالقبول، وجعلوها مفتاحاً لياب إجابة المأمول، فرخصوا حاجي البيت العتيق وأذنوا في الناس بالحجّ من تلك الطريق، فالطريقة الأنيقة الوفاء بما وعدتكم في أمر حجاج بيت الله الحرام، ورعاية ما عاهدتكم في عابري سبيله الأحقاء بوظائف الإعزاز والإكرام، فإن الكريم إذا وعد وفى، ومن أوفى بما عاهد عليه فله الجزاء الأوفى،^١ مع ما في ذلك من ترويح الملة الباهرة، ومنافع أخرى لمن يريد الدنيا وحسن ثواب الآخرة، ولما صدّ القلم عن حصر فوائده الجمّة، وأحصر عن عدّ عوائده المهمّة، عاد عن الإحرام لبسط الكلام، وأرسل هدي التحية ثم أحل بوادي السلام.

الرسالة السابعة: من: المولى محمد مسيح الكاشاني.^٢ إلى: الشيخ ناصر الدين الأحسائي.
المحتوى: الودية والإخوانية. التاريخ: في القرن الثاني عشر، حدود سنة ١١٢٠هـ.
المصدر: المجموعة المرقمة ١١٦٣٩ في مكتبة آية الله السيد المرعشي. المجموعة المحفوظة برقم ٩٦٠٩ في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي بطهران الورقة ٨٧ حدوداً.

١. إشارة لما تقدمه الدولة الصفوية مقابل تسهيل أمر الحاج، ولما في مساعدتهم على أداء هذه الفريضة الواجبة، ونقلهم بأمن وأمان من فوائد دنيوية وآخرية.

٢. ذخائر الحرمين الشريفين. مصدر سابق ٧: ٢١٢.



نص الرسالة:

أبهى سَلام سَمَتَ في سماء القبول شُموسه وأفهاره، ودار في فلك البلوغ والوصول
ثابته وسيّاره، وأنمي دُعاء جرت في رياض الإجابة أنهاره، ... وشمسُ فضلٍ أصبح
بإفاضة حقائقه اللامعة ليل الفضائل نهاراً. فاضلٌ يضاهي الصّبح عمود كماله، وعالمٌ
أورق بالعرفان عودُ إفضاله، المولى المَلَكِيّ الآداب، والصاحب المستغني عن الإطالة
في الألقاب، فلان.

والمرجو من يُجيب دعوة الدّاع إذا دعاه، ويُنادي في كل نادٍ لبسط فضله ونداه، ...
ويُمد الرّاجين فيُمد بطويل الرّجاء مدى مديد وجوده السامي.

أمّا بعد ... فإنّ المُحب المُشتاق وإن أبعده طوارق البِعاد عن التطرق إلى مجلس
الحضور، وصرفته صوّارف الهجر عن الاستضاءة بنور لقاءه المحفوف بصنوف
البهجة والسرور، لكنّ مناطق النُّطق بالثناء على اللسان مشدّودة، وأيدي الدُّعاء في
أكثر المظان مبسوطة وممدّودة، سائلاً منه سبحانه أن يرفع مراتبه الفاخرة، ويسمع
مطالبه في الدنيا والآخرة.

ثمّ المُتمسُّ منه دام فضله أن يذكرني بصالح الدُّعاء، ولا ينساني في تلك الأماكن الشريفة
التي يستضيء بنورها في الأرض نجوم السّماء، وأن يؤكّد أركان الولاء في أكثر الأوقات،
بإرسال صحائف الوداد المشتملة على حقائق الأحوال وإظهار ما اتفق من المهمّات.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الرسالة الثامنة: من: المولى محمد مسيح الكاشاني¹ إلى: الشيخ ناصر الدين
الأحسائي.

المحتوى: جواب عن كتاب الشيخ ناصر، وإعلام وصول مکتوبه، وإيصاؤه
بوجوب الوفاء بالعهد الذي مضى حول الحفاظ على حجاج إيران في طريق الحج و

١ . ذخائر الحرمين الشريفين، مصدر سابق. ٧: ٢١٢.



مراعاتهم. التاريخ: لعلها في سنة ١١٢٠ خ، حيث كان الشيخ ناصر وزيراً تابعاً للشيخ سعدون الخالدي. المصدر: المجموعة المرقمة ١١٦٣٩ في مكتبة آية الله السيد المرعشي. المجموعة المحفوظة برقم ٩٦٠٩ في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي بطهران، الورقة ٨٧ حدوداً.

نص الرسالة:

أيد الله تعالى بقاء جناب المولى الفاضل، والصادق الوفي نقاوة الأكارم والأفاضل، واقف مواقف الفضل والكرم، عالم معالم الهداية يهدي للتي هي أقوم، جامع الشرائع الحميدة، حاوي الفضائل العديدة، رافع ألوية الفتوة والسّاحة، ناصب رايات البلاغة والفصاحة، الأديب الساطع نورُهُ في آفاق محاسن الآداب، والأريب المفتق نورُهُ في رياض محامد الألقاب. امتدَّ في البراعة باعُهُ، وبرع في طريق الكرامة حتى شقَّ على من رام شقَّ غُباره أتباعه، جامع شتات المآثر، مولانا الألمي الشيخ ناصر، رفع الله تعالى مقامه، وشغل بإعانة المؤمنين ليليه وأيامه.

أما بعد ...

فقد طلع من مَشرق الولاء الكامن في صدفة السُّويداء كالدَّرِّ المكنون بأرقُّ ابتهاج تجلَّى كُنوز الشمس في مرايا العيون، خير بُرْهَةٍ من الأوقات، وأحسن دبانٍ يحوي السعادات، إذ تفتح فيه وردٌ وُرود كتابكم الكريم الذي أتاني، مُحتويّاً على بديع البيان والمعاني، فكمّ من موهبةٍ هنيئةٍ قد أعطاني، وبُهجةٍ مُونقةٍ قد إراني، فتمتع شوقُ الوصال بصلة وُصوله، تنعم ذوقُ البال بنعمة حُلُوله، والمرجوُّ من طيبِ خلائقكم الحسان، تكرير هذا الإحسان، فإنه المسك ما كرّرتَه يتضوُّع، وغُصنُ الإخاء بتكرُّر صحائف الولاء يتورِّق، وأصله به يتفرِّع.

ثم المكشوف على ذلك الضمير المنير، والمشهود لدى ذلك الرأي المُستنير، أن ما أشعرتم به في طيِّ تلك البطاقة الكريمة من أمر الحاج، والسعي في إرسالهم من



ذلك المنهاج، قد حصل بأي طريقٍ تأتي، وتجلّى في مرآة الحصول على أحسن وجه من وجوه شتى، كما زُبر فيما كُتِب إلى جناب المولى الأجل الأكرم، ناشِر لواء المجد والكرم، ناسك مناسك الفضل والإحسان، الشيخ سعدون، متّعهُ اللهُ بالعيش البهيح، وأعانهُ بإعانة طرائف المعتمرين والحجيج، والمأمول من صدق عهودكم السّعيّ في صفاء المحبة، والاهتمام بوفائه بما عاهد عليه الأُحبة، ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الرسالة التاسعة: من: أحد رجال الدولة الصفوية،^١ ويظهر أنه من السادة، الذي كان في «بندر بوشهر».^٢ في ذي القعدة الحرام سنة ١١١٧ هـ، عند كتابة هذا المکتوب. إلى: الشيخ ناصر الدين الأحسائي.

المحتوى: ودية. وتحييد بحسن سلوك الشيخ ناصر مع الحجاج الذين طريقتهم من الأحساء، كما أخبر العالم الفاضل المولى أبو الحسن، وأيصاؤه بخدمة الحجاج ليكون هذا الطريق مفتوحاً دائماً للحجاج الإيرانيين، وإرسال صاحب المکتوب ابنه السيد محمد حسين والسيد محمداً إلى الحج من هذا الطريق في عام ١١١٧ هـ، والتوصية بهما. التاريخ: ذو القعدة الحرام سنة ١١١٧ هـ. المصدر: المنشآت المخطوطة المرقمة ١٨٣٩٣ في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، ص ٢-٣.

١. لم نستطع التوصل إلى اسمه.

٢. مدينة بوشهر عاصمة محافظة بوشهر في جنوب إيران على الساحل الشرقي للخليج الفارسي، تبعد عن مدينة الأهواز مسافة ٤٣٤ كيلومتراً إلى الجنوب، ذكر المستشرق والمؤرخ في صفحة ٣٤ من كتابه: «عرب الخليج»، وتقع بوشهر إلى الغرب من ري شهر، وقد أصبحت خلال القرن الثامن عشر أهم ميناء في إقليم فارس، وكانت مقراً عربياً. وفي أوائل عام ١١٣٩ هـ، خطط الإنكليز لإقامة وكالة ومقر لهم في بوشهر. ولقد نشطت الشركة الهولندية هناك عام ١١٤٩ هـ، وينتمي سكان بوشهر كما ذكر كنيهاوزن إلى «ابو مهير»، القبيلة العربية العمانية، والتي انحدت من ضواحي مسقط، أنظر: سلوت. ب. ج. ١٩٩٣. عرب الخليج ١٦٠٢-١٧٨٤، ترجمة عايدة خوري. النسخة العربية من إصدار المجمع الثقافي في أبوظبي. الطبعة الأولى: ١٩٩٣ م: ٣٠٥.



بسم الله الرحمن الرحيم

بعد إتحاف ثناء بعجز عن تحمّلها الأوراق، وأهداء دعاء لا يتحمّلها مطايا الاشتياق، إلى جناب الشيخ الأجل. والصديق الأمثل، ذي الأوصاف الوضيّة، والأخلاق المرضية، فرد أفراد الدهر، وواحد آحاد العصر، عارج معارج الفضل والنهي، صاعد مصاعد السعادة في الآخرة والأولى، عنوان صحيفة مكارمه موّشّح بذهب حمائد الخصال. وديوان مناقبه مرقوم من مداد العزّ والإقبال، عجزت ألسنة الأقلام عن الإطراء في مدحته، وضافت صفحات الأوراق عن تحمّل كريم خصلته، ذي العز الشامخ الباذخ، شيخ أعظم المشايخ، بل أفضلهم من السوالف والغوابر، الشيخ ناصر، لا زال من الخالق منصوراً، وعند الخلائق مشكوراً.

فالشوق إلى كريم لقائكم على حيث يضيّق عن الإحاطة به نطاق البيان، حيث اشتهرت مدائحكم في الأصقاع والبلدان، لا سيما بعدها ما حكى الشريف الفاضل، والعالم العامل، قرّة عيني وحبیب قلبي المولى أبو الحسن - وفقه الله تعالى - من أوصافكم ما تبهر فيه العقول، وتتعجب منه الفحول، وخصوصاً حُسن السلوك مع الحاج في الام الغابر، جزاكم الله في ذلك خير الجزاء.

وحيث علمنا من مدائح أخلاقكم، ومحاسن أوصافكم، سالفاً وأنفاً، تعهدنا عند الحضرة البهيّة السلطانية - أيدها الله بالنصر والتمكين، وأيدها بجنود من الملائكة مُرادفين - مِنْ قِبَلِكُمْ لِأَجْلِ الْحَاجِّ، وعرضنا عليه: إنَّ كَلَامَكُمْ كَلَامٌ، وذمامكم ذمام، فعند ذلك رخص الحاج، وأمر بإدارة المحمل على طريق الأحساء - صانه الله عن ضروب البلاء - ولما اطمأن قلبي من تلقائكم غاية الاطمئنان، رخصت قرّة عيني، وقلدة كبدي، وثمره فؤادي، محمد حسين و [ال] سيد محمد - أنشأهما الله نشأ الصالحين، وردّهما وسائر الحاج على أوطانهم سالمين غانمين -.

ونحن نوصيكم أولاً برعاية الحاج، وحفظهم عما يعترضهم في السبيل والفجاج،



ليكون ذلك سبباً لفتح هذا الطريق، ورفع ما يعتريه في بعض الأحيان من التعويق، كيلا يظهر الأمر خلاف ما تعهدنا، وثانياً أن يكون الولدان في ظل من عزكم، ومحل من مجدكم، والله الموفق لكل خير، والسلام من الله السلام عليكم.

الرسالة العاشرة: ١ من: الميرزا محمد حسين الحسيني أمير العساكر الإيرانيين في البصرة. ٢ المنشئ: العالم السيد محمد علي بن محمد حسين الموسوي الجزائري الغروي، كان وزير جعفر خان بن صادق خانزند، وهو شاعر كبير، يحتمل الوثائق في كتابه أنه كان كتاب الرسائل في حكومة فارس بشيراز. ٣ إلى: الشيخ سعدون بن عريعر بن دجين، من بني خالد (١١٨٨-١٢٠٠هـ).

المحتوى: ١- الإخبار بغلبة الجنود الإيرانيين على الطغاة. ٢- فتح طريق الحجاج الإيرانيين من ذلك الجانب بعد أن كان مغلقاً بسبب الرتحال سلطان إيران و عدم الأمن. ٣- التوصية لعامة الحجاج والمعتمرين بحفظهم واسترضاء خاطرهم. ٤- التوصية بميززا محمد حامل هذا المكتوب الذي قصد زيارة البيت الحرام. التاريخ: ٢ رمضان المبارك ١١٩٤هـ. المصدر: المخطوط المرقم ١٦٧٦ في مكتبة الوطنية بطهران، الصفحة ٢٦٢-٢٦٤ حدوداً.

نص الرسالة:

جرى حكمنا العالي، على خلاصة الأماجد والأعظم، سلالة الأكابر والأفاحم، غرة وجه السالكي، وقمر براقع الترافع والتعالي، شيخ المشايخ المعظمين، فخر الأكابر المفخمين، قدوة القبائل، وزيدة الأمثال، الشيخ سعدون، أسعده الله تعالى بهداية

١ . ذخائر الحرمين الشريفين، مصدر سابق ٧ : ٢٢٠ .

٢ . أحد قواد الدولة الصفوية بعد سيطرتها على بلدة البصرة في حربها مع العثمانيين، الذين بسطوا نفوذهم على معظم العراق . ذخائر الحرمين الشريفين، ٧ : ٢٢٠ .

٣ . ذخائر الحرمين الشريفين، ٧ : ٢٢٠ .



المُحْرَمِينَ، وحداية القاصدين. إلى زياره سيد الأنام عليه آلاف التحية والسلام.
بعد الوثوق بالله، والاتكال على الله، فكن على أَسْرِّ حالٍ بما اتَّفَقَ لنا من الفتوحات
العظيمة على الفئة الباغية، وأفرح بالِ بغلبة جُنْدنا الغالب على الطائفة الطاغية، فبحمد
الله تشبَّت شملهم، وتفرَّق جمعهم، حتى ما بقي منهم إلا شُرْذمة قليلة في غاية الندامة
والنكال، المتحيرين في أسوء حال في البراري والجبال،^١ فانتظم المُلْك، ... ومن يتوكل
على الله فهو حسبه.

ألا، فلما ثبت وفور أخلاصك بمحضرنا العالي، ومزيد اختصاصك بخدمتنا
المتعالي، وأطلعنا على حسن سلوكك مع المترددين من الأداني والأعالي، سيِّمًا المحرمين
إلى طوف بيت الله الحرام، والزائرين قبر النبي عليه السلام، تشيِّد أركان المحبة السابقة،
وقوى بنين المودة السابقة، صدر فرماننا،^٢ المطاع، وحكمننا اللازم الإِتباع، على جميع
الأطراف والأكناف من ديارنا، والمستظلين تحت ظلال اختيارنا، ممن قصد أن يطوف
بالبيت العتيق، بأن يأتوكم على الطريق، ولا ارتفاع الأمنية والأمان، بعد ارتحال
الخاقان،^٣ عليه شأبيب الغفران، إلى هذا الأوان، لإفساد المفسدين من أهل الطغيان، ما

١. في هذه الفترة كانت هناك محاولات عديدة من قبل الدولة الصفوية لفرض نفوذها على مدينة
البصرة لما تشكل من أهمية اقتصادية وسياسية في المنطقة، وهي في معظم الأوقات كانت خاضعة
لسيطرة الدولة العثمانية وولاتها، إضافة إلى ما كان فيها من مقاومة داخلية من قبل الأهالي من
رفض لذي عدوان خارجي، ولعل هذا الكلام إشارة لما كانت تعيشه مدينة البصرة العراقية من
تقلبات سياسية عديدة.

٢. فرمان: لفظ فارسي معناه أمر أو حكم أو دستور موقع من السلطان. والفرمان العثماني هو قانون
بأمر من السلطان العثماني نفسه وممهور بتوقيعه وهو نافذ من دون رجعة عنه. وكانت تدعى
الأمرور العالية للخديوي في مصر بالفرمان أيضاً. راجع: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية
التاريخية، مصدر سابق: ١٦٤.

٣. خاقان: لقب لكل ملك من ملوك الترك والتتار، ويختصر اللقب إلى خان أوقان. راجع:

المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مصدر سابق: ٣٧٢.



قدروا الناس على الحجّ والزيارة، وانقطع باب المعاملة والتجارة، والحال بعون الملك المعين، قبضنا الممالك من يد المخالفين، وقطعنا أيادي سلطنتهم من الناس أجمعين، فتكثروا الحجاج والمعتمرين، وازدادوا التجار والمترددون من العباد، لأنه يورث عمران البلاد، وسبباً لا شتهارك بالسداد، فأرضهم ما كانوا في أرضك، ودارهم ما داموا في دارك، سيما حامل كتابنا الميرزا محمد. إياك والتعدية الفاقرة، لما فيه من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وبه الكفاية، وحرر ذلك في ثاني شهر رمضان سنة ١١٩٤ هـ.

الرسالة الحادية عشرة: من: الميرزا محمد الحسيني أمير العساكر الإيرانيين في البصرة. المنشئ: العالم السيد محمد علي بن محمد حسين الموسوي الجزائري الغروي. إلى: الشيخ سعدون بن عريعر بن دجين من بني خالد، حاكم الأحساء.

المحتوى: التوصية بالأمير أحمد سلطان - من أمراء خراسان و مرافقيه الذين أموا البيت الحرام - بالخدمة إليهم، واسترضاء خاطرهم في ذهابهم وإيابهم. التاريخ: جمادى الأولى سنة ١١٩٥ هـ. المصدر: المخطوط المرقم ١٦٧٦ في المكتبة الوطنية بطهران ٢٦٤-٢٦٦.

نص الرسالة:

جرى حكمنا العالي، على خلاصة الأعاضم والإطياب، وسلالة الأماجد والأنجاب، قرّة أعين المجد والإكرام، وغرة ناصية الغزّ والاحترام، من أسعده الله بين الأنام، بدلالة المحرمين والقاصدين إلى طواف بيت الله الحرام، وزيارة سيّد البررة الكرام، عليه آلاف الصلاة والسلام، شيخ المشايخ العظام، وعن الأعالى الفخام، الشيخ سعدون.

بعد الوثوق بالله والاتكال على الله، لا يخفى عليك، أسبغ الله نعماءه لديك، بأن حامل كتابنا هذا عمدة الأعاضم والأعيان، وزبدة الأماثل والأفران من أهل خراسان، أمير أحمد سلطان، معه طائفة من محرمي طواف الحرم، وقاصدي زيارة سيّد الأمم،



قد أتانا راجياً من جنابنا رخصة الوفود على ديارك، والعبور عن مصدر اختيارك،
واستدعى من جنابنا تحرير كتاب المحبة إليك، وتكليف بذل المجهود عليك، بإبلاغهم
إلى مدارج آمالهم، وطف همتك على إيصالهم، بأقصى مراتب مقصودهم ومرامهم،
وأعلى معارج مأمولهم ومهامهم، فرخصناهم مُنجحين من بابنا، وابعثناهم إلى دياركم
عن أعتابنا، وطيبنا خواطرهم من كل باب. بمعاونتك عليهم بعد الورود بتلك
الأصواب، فينبغي لك أن تُرضيهم ما كانوا في أرضك، وتُداريهم ما داموا في ديارك
وأرضك، وتبذل المجهود بمسيرهم، ووصلهم إلى ذلك البلد الأمين سالمين آمنين ...
بعون الله القادر العلام، وبه الكفاية.

وحرّر في جمادى الأولى سنة ١١٩٥ هـ ...

* * *